

عين الصقر

قصص قصيرة

حميد المختار



الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
موسوعة توثيق إرهاب القاعدة وداعش في العراق
٢٠٠٣م - ٢٠١٧م

الإشراف العام:
اللجنة العليا لموسوعة توثيق إرهاب القاعدة وداعش في العراق
مركز بيّنة للأمن الفكري والثقافي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
()

البريد الإلكتروني:

WWW.BAINA.COM

العراق: كربلاء المقدسة

الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

حقوق النشر محفوظة للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

التصميم والإخراج الفني:

م. زهير الجبوري

عين الصقر

قصص قصيرة

حميد المختار

القسم الأول

عين الصقر

اهداء إلى روح الشهيد السعيد أبو تحسين الصالحي

-|-

أمام أصوات مُكَبَّرَات الصوت والأناشيد الوطنية وجمهرة كبيرة من الناس، الكل ينتظرُ ازاحة السُّتار عن التمثال الكبير؛ وثمة شاب جلسَ في المقاعد الأخيرة يَنْظُرُ بعيون دامعة إلى الستارة الخضراء القادمة من المَرقد الشريف تلك التي كان أبوه يَلْفُها على رأسه حين تُصِيبُهُ وعكة صحية أو يشعر بصداع، أما سلاحه العملاق فقد أخذوه إلى متحف العتبة الحسينية، كان الشاب رغم حزنه الشديد على أبيه لكنه يشعر بالفخر حين يرى كل هؤلاء الناس وهم يحتفلون بتمثال أبيه الشهيد، إنه القناص العجوز الذي قَتَلَ أكثر من (٣٥٠) داعشياً، هذا الرجل الضخم ذو اللحية الرمادية الكثة الذي يَرْتدي عادة سُترة جلدية يُحيطها شريط من الرِّصاص لم يُفارق سلاحه من

نوع (شتاير) منذ عقود، ماذا يتذكّر من تلك السيرة الجهادية الطويلة لوالده الفقيد، مازال يتذكّر الشريط الذي ظهر فيه والده وهو يتلو وصيته داعياً عائلته إلى احتساب أمره إلى الله والصبر على بلائه في حال استشهاده الوشيك ويوصيهم بمواصلة طريق الجهاد والاستمرار فيه حتى النصر المؤزر، قال له في رحلته الأخيرة إلى الجبهة:

- ابني انتبه لأُمِّك واخوتك

- طبعاً أبي هم في عيني

- قد لا أعود!!

- ماذا؟

- قلت لك ربما هي الرحلة الأخيرة وأنت الآن ماشاء الله رجل تستطيع أن تتكفل برعاية عائلتك خذ مكاني يا حبيبي - أبي ماذا تقول؟

صارت الدموع تتساقط على وجنتيه ثم فجأة سمع من يُنادي عليه باسمه التفت ليجد المسؤولين عن الاحتفالية يدعونه ليكون في المقاعد الأولى فقد صار وقت ازاحة الستار عن تمثال الشهيد السعيد القناص العجوز وقاهر الدواعش والعنيد وشيخ القناصين أنه عين الصقر، حين أزيح الستار ظهر والده بكامل قيافته العسكرية مع

قصاص الشتاير الذي عاش معه طيلة تواجده في المعارك واختلاف الجبهات، ثم تذكّر التشيع المهيّب الذي أُقيم للجنازة في العتبة الحسينية فقد شاركت فيه العشائر، والأهالي، وشباب كثيرون من مختلف محافظات الوسط والجنوب وهناك في مدينته ومسقط رأسه في البصرة كان له التشيع الرسمي الكبير الذي انطلق من المسجد الأعظم في قضاء الزبير بعد ما صلى عليه مُعتمد المرجعية إلى داره في منطقة صبخة العرب وسط مدينة البصرة، كان الناس جميعاً يَبكون ويَهتفون باسمه ويُطالبون بالثأر من قتلته، كان يتحدث مع ابنه ويسرد له وقائع حياته.. وقال له:

- كنتُ جوالاً أبحثُ عن لقمة العيش وسافرتُ إلى الكويت وهناك عَمِلتُ راعياً للأبل والأغنام وتدرّبتُ على الصيد من خلال سلاح قنص فرنسي نُسميه بلهجتنا (خرارة فرنسية)، كنتُ اصطاد الحبارى والأرانب، هل تعلمُ يا ولدي أنّي اشتركتُ في معظم الحروب التي مرّ بها بلدي ابتداءً من حرب تشرين عام ١٩٧٣ وكل الحروب الأخرى وصولاً إلى الانتفاضة الشعبانية ضد نظام صدام وبعد سقوط النظام ودخول الجيش الأمريكي حاربتُ ضمن صفوف المقاومة ضد تحالف الاحتلال الأمريكي، عليك أن تُشرف على تربية

اخوتك الصغار وتحكي لهم عن أبيهم الشهيد وتوصيهم بأن يسيروا
على الطريق نفسه الذي سار عليه والدكم

- نعم أبي وصيتك أمانة في عنقي، ثم انهار في بكاءٍ عنيف فأخذ
أبوه رأسه ووضعهُ على كتفه وصار يُمسد عليه ويُحاول تهدئته - كُفَّ
عن البكاء أنتَ رجلٍ وعيب إذا بكت الرجال
- نعم أبي أنا فقط لا أُطيق فراقك

- لا بد من الفراق حبيبي

ذهب أبوه وقد شيعه بنظراته وكأنه يُشيع جنازته التي ستأتي في
منتصف الليل .. استشهد أبوه أثناء تقدم قطعات الحشد الشعبي في
عمليات (قادمون يا حويجة) .. عند تقاطع جبال حميرين أثناء مواجهات
شرسة خاضها الأبطال مع عصابات داعش الارهابي، كان هو ذكياً
جداً أثناء نزوله إلى الميدان مُتنبهاً لكل حركة ونأمة صوت لكن لم يكن
يخطر له على بال أن يأتي الدواعش من خلفه وهم يرتدون زي الحشد
الشعبي وما إن غصَّ النظر عنهم وأغفلهم قليلاً حتى انتهزوا هذه
الفرصة التي يُقدَّر وقتها برمشة عين فاطلقوا نيرانهم على ظهره وخرَّ
صريعاً لكنه ظل مُلتفتاً إلى الخلف وفي عينه ألف سؤال ..

- أبي أيها المقاتل الاسطوري العتيد ستظل مُعلمي الأول لن

أنساک ولن تنساک أجيالنا القادمة، كنت كالصُّخور صابراً وكالجمال
ثابتاً لا تهزُّك ریح الأعاصير ولا أزيز الرصاص الذي يمرق من فوق
جبینک، كنت تُمزَّق حُجبَ الظلام بعینیک النَّارِیَّتین التي تثقبان عباءة
اللیل المدہم، تعیشُ كما تعيش الذئاب بحثاً عن الطرائد بملا بسک
الصحراویة وغشاء التخفی، تقوم مع بداية النهار باستطلاع
الأماكن، والمنحدرات، والثغور، وفتحات الكهوف الجبلية تبقى
هناك كالصَّقر تنتظرُ القنص القادم لطرائدك المنتظرة، لقد تعلَّمتُ
منك كل شيء وسأمشي على الطريق نفسه مع اخوتي الصُّغار حيث
منار وجهك المضيء الذي أضاء الأرض وطهرها من أرجاس
الدواعش الأنجاس، ها هو تمثالک الحي یکاڈ ینطقُ وهو ینظرُ إلیَّ
مُحاولاً أن یتکلمَ معی یسألنی عن أمی و اخوتي وأبناء وطنی فیما تبعثُ
عیناهُ رسالته القديمة لا تنسى وصیَّتی یا ولدی (حبّ وطنک حبک
لنفسک) طریقنا هو طریق سید الشهداء نفسه طریق التضحية والفداء
وهو الطريق الذي سيقودنا إلى النصر المؤزر ان شاء الله ..

ظلَّ الابن الشاب يتأملُ تمثال والده حتى بعد أن خرج الجميع
ولم یبقَ أحدٌ إلا أمه و اخوته الصغار وصوته الذي ظلَّ یرافقهم طيلة
مکوثهم مع تمثاله وسلاحه وبزته المميّزة ..

- ٢ -

كانت ظلمة الليل قد تكاثفت كثيراً حين اجتاز الناس المرحّلون من بيوتهم خوفاً من تقدّم عصابات داعش الدموية الذين أحرقوا كل القرى والمدن التي مروا فيها، كانوا يسرون على طريق صخري متعرّج بين سهول ووديان وجبال عملاقة ليتوقفوا أمام تلال شبحية مخيفة تظهر من ورائها بُقع مُضيئة كحطام طائرة حربية ضخمة في قلب الليل، تأملهم القناص العجوز وهم محمّلون بأوزار فوق أوزارهم وأمتعتهم ومعافطهم الرثة والريح تسوقهم إلى المجهول، إنها قافلة مذعورة من النساء والأطفال والشيخوخة محمّلين بالمؤن والفرش والأدوات المنزلية والحقائب الثقيلة التي تحمل ثيابهم وأشياءهم الثمينة يتقدّمون بجهد مُضن كما لو كانوا مهزومين في معركة خاسرة، ثمة الكثير من جيف الحيوانات النافقة التي قتلتها الأنفجارات والرصاص الآز في كل مكان وكانوا كلّما سمعوا صوتاً قادماً يهبطون بأجسادهم إلى الأرض وينبطحون خوفاً من الأخطار

المحدقة بهم، ومن حين لآخر يسمعون رشقات المدافع الرشاشة والقنابل ورصاص القناصين، حاول القناص العجوز أن يُطمئنهم ويقول أنهم في أمان طالما أنهم يَمرون بالقرب منه لأن سلاحه وعينه تُراقبان كل شيء فلا خوف عليهم إذن، أثناء ذلك وبينما كان يراقب شاباً يمشي بسرعة أمام القافلة المتعبة تذكر ذلك الشاب المقاتل الذي جاءوا به ليشارك في القتال، كان مُستجداً ولا يعرف طبيعة الأرض التي يقف عليها لذلك نصحه القناص العجوز أن يترث قليلاً ولا يتهور لأن الموت يُحيط به من كل مكان، أي خطأ أو زلل معناه الموت المؤكد، لكن الشاب المُستجد لم يستمع جيداً للنصائح حيث قال:

- لا بد لي من التقدم مع رفاقي وتحرير الأماكن التي احتلها

داعش

- اصبر قليلاً أيها الشاب ولا تتعجل

- كيف ..؟ ورفاقي الآن أمام الموت والأخطار المحدقة!

- وماذا ستفعل أنت بعجلتك هذه؟

- أساعدهم طبعاً

- أنتَ ما زلتَ جديداً على هذا المكان ولا تعرف طبيعته قد

يكون الدواعش الآن يكُمون في أماكن قريبة منّا

- إذا كان لأبد من الشهادة فمرحبا بها
- لكنك ستقدم نفسك كطعم سهل لهم
- وما العمل إذن حسب رأيك
- رأيي أن تنتظر قليلاً ..

في هذه الأثناء ترك الشاب المُستجد القناص العجوز مُتحدثاً وتقدّم بسرعة إلى الأمام من غير أن ينتبه لأي شيء، غضب كثيراً القناص العجوز مُفكراً بطريقة سريعة لأنقاذ هذا الفتى المُتهور من نفسه، كان الشاب مسرعاً جداً في تقدمه وثمة الكثير من أصوات الرصاص تُحوطه من كل الأمكنة، كان على القناص العجوز أن يُفكّر بسرعة قبل أن يموت الفتى برصاصة قناص أو قنبلة طائشة، بدأ الفتى يقترب من سفح جبل عملاق عرف القناص أن الشاب سيحاول تسلق هذا الجبل وهناك من يكمن له في القمة، إن الفتى يتسلق الجبل ليجد نهايته في قمته، ما الذي يفعله هذا المُتهور المجنون!! صوّب فوهة بندقيته القناصة ذات العنق الطويل إلى نقطة ما بين قدميه واختار منطقة لحمية خالية من العظام هناك حيث يمكنه أن يصيبه من غير أن يكسر له عظماً يجعله عاجزاً طيلة سني حياته، سمع الفتى صوت اطلاقه تآتية من الخلف، في البداية لم يشعر بشيء إلا أنه تحسّس قدمه

اليمنى التي غطاها سائل دافئ ملاً جزمته العسكرية، أيقن الآن أنه أُصيبَ برصاصة قناص ولكن الغريب في الأمر أن الرصاصة جاءتة من الخلف، لم يفكر كثيراً فقد قرّصَ مُنحنيّاً يَتَفَحَّصُ قدمه اليمنى فيما سَقَطَتْ بُنْدَقِيَّتُهُ على الأرض ومال هو عليها مُحاولاً التقاطها لكنه لم يفلح فتدحرج كالكرة فوق السّفح وصولاً إلى الأرض الصخرية المتعرجة، لم يمضِ كثير من الوقت حتى لَحِقَ به مُقاتلو الحشد وأخلوه من المكان بسرعة، حين وصل إلى القناص العجوز ابتسم له بنظرة وابتسامة تَنَمُّ عن العرفان الشديد لأنه بهذه الرصاصة أنقذَ حياته من موت مُؤكّد، كانت نيران صديقة صادقة قادته إلى الحياة من جديد أما القناص العجوز فقد عادَ إلى البحث عن طرائده الداعشية التي أمست أمامه أهدافاً سهلة تُحَقِّقُ له المتعة وترجية الوقت بلذة كبيرة، كان يَعْلَمُ أنّ يوم ارتقائه إلى السماء وشيكاً لهذا فقد أجهد نفسه على أن يُحَقِّقَ كل ما يصبو إليه من انتصار ولتأتِ بعد ذلك الشهادة فهو يَنْتَظِرُها منذ زمن طويل .. [كانت جنازته تحترق الجموع وهي طائرة على الرؤوس لتصل إلى مرقد الإمام علي، كان الشوق ساخناً لهذه الروح التي تركت الجسد بارداً إلى حيث مهبط الأرواح في وادي السلام .. السلام والنصر الكبير]

القَصْدُ

ظَلَّ الرَّجُلُ جَالِسًا فِي مَكَانِهِ مُطْرَقًا بِرَأْسِهِ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَمَا تُحِيطُهُ
حَرَكَةُ الْمُقَاتِلِينَ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَسْلِحَتَهُمْ اسْتِعْدَادًا لِمُوجِئَةِ أَيِّ طَائِرٍ،
سَأَلَ أَحَدَ الْمُقَاتِلِينَ رَفِيقَهُ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ الرَّجُلَ الصَّامِتَ .. أَشَارَ بِسَبَابَتِهِ:

- مَا بِهِ .. هَذَا الرَّجُلُ؟

- تَقْصِدُ الْمَصْلُوحِيَّ؟

- نَعَمْ .. مَا بِهِ؟ وَلِمَاذَا هُوَ حَزِينٌ هَكَذَا؟

- آه .. لَوْ تَعْلَمُ قِصَّتَهُ إِنَّهَا مُؤَلَّةٌ جَدًّا

- مَا الَّذِي حَدَثَ لَهُ؟

- انْتَظِرْ رَبِّمَا هُوَ يَقْصُّهَا عَلَيْكَ

مَضَى مُتَتَسِفِ النَّهَارِ وَلَمْ يَقْتَرِبْ مِنْهُ أَحَدٌ وَهُوَ لَا يَرِيدُ أُسَاسًا

الْكَلَامَ مَعَ أَحَدٍ، كَانَ مُطْرَقًا يَرِاقِبُ سِرْبًا مِنَ الدِّيدَانِ الصَّغِيرَةِ وَهِيَ
تَدْخُلُ فِي فَتْحَاتِ الْجِدَارِ الْقَرِيبِ قَالَ فِي نَفْسِهِ:

[عَلَى الْأَقْلِ هَذِهِ الدِّيدَانُ لَدَيْهَا مَأْوَى تَدْخُلُهُ وَتَطْمَئِنُّ عَلَى نَفْسِهَا

فيه وتُحافظ على عائلتها، ماذا عنا نحن الذين تركنا كل شيء خلفنا حتى عوائلنا.. كان الوقت ضُحى وكنا نُعدُّ وجبة الغداء والولدان يلعبان مع أختيهما الأكبر من غير أن يشعرا بشيء يُقلقهم فجأة شقَّ دوي انفجار كبير الفضاء وارتفعت في الأفق غُمامات دخان سوداء، كان صوت الانفجار قريباً وعنيفاً ارتعبت له قلوبنا فقد هز أركان بيتنا والبيوت المجاورة، صاحت زوجتي بصوت هلع]:

- ما هذا؟

- انفجار قريب جداً من بيتنا

- ماذا سنفعل؟

- لا شيء نَحتمي بأي شيء حتى يزول الخطر

- لا بد أن الدواعش قد وصلوا إلى منطقتنا ثم تتابعت

الأنفجارات وأصوات الرّشقات التي مزّقت الجدران والأبواب

والنوافذ

- إنهم هنا قرب البيت

- هيا لتُسرِعِ إِذْن

- وكيف سنخرج من البيت وهم يُحيطون بنا؟

- لا بد أن نجدَ طريقة ما للخروج ..

حين نظرتُ من نافذة الدور العلوي للبيت صاحبت بصوت عال تُخاطب زوجها:

- عبدالله تعال بسرعة

- ماذا؟

- القرية تَحترق

- يا الله دخيلك

- أسمعني .. هَيِّئِي الأطفالِ بِسُرعة واحملي الأشياءِ الثمينة ولنغادرُ بسرعة.

هرعت المرأة تُللملم أشياءها وتلبَّسْ أو لادها بِسرعة وهي تُتمتم بكلمات غير مسموعة، فتحَ الرجلُ البابَ بهدوءِ كَلِص يَتَفَحَّصُ المكانَ قَبْلَ أَنْ يَهَمَّ بالخروجِ ولَمَّا لم يَجِدْ أحداً قُربَ بيته صاح مُخاطباً زوجته:

- أُخْرِجِي بسرعة لا أحدَ قُربَ بيتنا خرجوا جميعاً وهم يَرَكُضُونَ مِن غيرِ أَنْ يَلْتَفِتُوا إلى الخلفِ ..

الرَّصَاصُ كانَ وما زالَ مُنْهَمراً يُمزِّقُ كُلَّ شيءٍ في البيوت والأشجارِ والحدائقِ، انطلقوا يَرَكُضُونَ، مُسرعينَ عبروا سِياجَ الحدائقِ والساحاتِ الخالية للمنازلِ التي فرغت مِن سُكَّانِها، مروا

قريباً من ساحة القرية وقفوا يلتقطون أنفاسهم تحت ظل شجرة سرو كبيرة قرب المسجد، لم يروا أحداً في الساحة ولا عند باب المسجد الكل هرب واختبأ تاركاً كل شيء، لمح عبدالله جثة ممزقة الأوصال قريبة من احدى الأشجار سكت ولم يُخبر زوجته قالت زوجته:

- رأيتها تلك الجثة علينا أن نُسرع قبل أن نلتحق بها

هرعوا من جديد تحت ظلال الأشجار العالية وحواف الجدران الاسمنتية الصماء المثقبة، ثم فجأة واجهوا رشقات من الرصاص الذي أحاط بهم من كل جانب ومكان صاحت زوجته:

آه ..

ثم أبطأت بخطواتها وسقطت أرضاً، رجع اليها حاول أن يكلمها كانت الرصاصات قد مزقت ظهرها وخرجت من الصدر لفظت أنفاسها من غير أن تنبس بنت شفة، بكى الأولاد .. صرخ بهم أبوهم

- اختبئوا بسرعة

لكن البنت ألقَتْ بجسدها على جثة أمها التي نزلت دماءها وحين رفعت رأسها اخترقت رصاصة عنقها فعدت مرمية على جسد الأم، سحب عبدالله الجثتين وهو يبكي ويلعن القتلة المجرمين،

اقترب من حفرة قرب شجرة تين يابسة وضعها فيها ثم ألقى أغصان الأشجار المتناثرة فوق الجثتين مع بعض الحجر والتراب، التفت إلى الولدين :

- هيا بسرعة ينبغي أن نُسرع قبل أن يلحقوا بنا

بكى أحد الأولاد وسأل الابن الأكبر أباه:

- إلى أين نذهب يا أبي؟

- إلى القوات الأمنية العراقية إنها قريبة من هنا فقط علينا أن

نُسرع، ركضوا وهم يلتفتون إلى الجثتين قرب الشجرة ظلَّ الابن

الأصغر يبكي، انحنى أبوه إليه وحمله على ظهره تشبَّث الابن الثاني

بفخذ أبيه وقد أحسَّ بتعبٍ شديد سأله أبوه:

- هل تريد أن أحملك؟

- لقد تعبتُ أبي لا أستطيع الرِّكض

انحنى عليه وحمله على كتفه الآخر ابطأت حركة عبد الله فقد

صار حملهُ ثقيلاً وما زال الرصاص ينهمر عليهم، أثناء ركضه ولهاثة

وتعبه أحسَّ بسائل دافئ يُغطي كتفه فتساءل مع نفسه هل أُصِبتُ؟

توقَّف خلفَ شجرة عجوز وقد أنزلَ الولدين الولد الأكبر خرَّ على

الأرض كانت الرصاصة قد أصابته بحيث أن دمه غطى كتف أبيه

نظر إليه مُتفحصاً ثم قال:

- لم يزل حياً، الاصابة في فخذه سَأصلُ إلى القوات العراقية لا
بُد أنهم قرييون من هنا استمر في الركض ثم أحسَّ ببرودة جسد ابنه
الجريح بينما كان الابن الأصغر مُستغرقاً في نوم هادئ بأنفاس هادئة
منتظمة، ظلَّ يركض نازلاً حفراً صاعداً تلاماً مُتبتئاً خلف حيطان
مهْدَمة ومُتكتئاً على جذوع أشجار متآكلة

- اللعنة عليهم إنهم في كل مكان وما زال رصاصهم يُحاصرنا
حين غابت الشمس شعرَ بأمان قليل يتسرَّب إلى روحه اطمأنَّ
أنهم لن يروهُ في هذه الظلمة الهابطة، تحسَّس ابنهُ الجريح كان جسده
بارداً كالثلج كَلَّمهُ فلم يُجِبهُ تأكَّد حينئذٍ من موته، لقد مات ولدي ..
لعنة الله عليكم أيها القتلة، عاد إلى سرب الأشجار الذي يُحيط بالشارع
الاسفلتي المليء بالحفر أمسكَ بحديدة صدئة وصار يَحفر ويَحفر تحت
شجرة مُعمَّرة وهو يصيخُ السَّمع لأي حركة تقتربُ منه، أكمل الحفر
ثم وضع ابنه في الحفرة ورددَّمها بسرعةٍ قبل أن يعودَ إلى الركض من
جديد حاملاً ابنه الوحيد الذي ظلَّ نائماً، حاول وهو يركض لاهثاً
أن يُكلِّم الولد محاولاً ايقاظه لكنَّ الولد لا يستجيب حبيبي استيقظ
كَلَّمني ما بك؟ تلمَّس جسده كان بارداً وثمة سائل قد تجمَّد على

فخذه وبطنه، توقّف فجأة وهبطاً إلى الأرض بسرعةٍ متفحصاً الجسد .. [يا ربي هذا الولد الميت] .. عاد مُسرِعاً إلى الخلف يبحثُ عن الشجرة المعمرة وجدّها وأسرعَ يحفرُ بحثاً عن الابن الحي ..

أمسك برأسه أخرجَه من الحفرة جسَّ نبضه كان جُثة هامدة بلا نفس، صرخ رافعاً رأسه إلى السماء يا الله ياربي ماذا فعلتُ !! ياربي لقد دفنتُ ابني الحي وحملتُ ابني الميت ..

- عبدالله .. عبدالله ! انتبه عبدالله إلى القائد العسكري الذي يكلمه

- سنأخذُ جُثتي الولدين إلى المسجد القريب تعال معنا نهض عبدالله من مكانه وهو مازالت عيناه تُراقبان الأفق الذي غادرتَه الغيوم السوداء، ثمة بصيص من الضوء غمر كل شيء، تنفّس الصُّعداء وأسرعَ خلفَ القائد

المسافر

اتَّكأْتُ على جذع شجرة عملاقة ونظرتُ ساهياً إلى الافق المظلم، انتبهت إلى انني لم أسمع صوتاً، لا تغريدة عصافير ولا اصوات حيوانات أليفة، ثمة صمت فقط، عندها أدركتُ عمق المشهد الذي يقودني الى منطقة محظورة لا يستطيع الإنسان أن يتصورها أو يعيشها، العالم صامت والغابة العذراء مفتوحة في عمقها المظلم تحلم بولادة صوت حتى وان كان خارج أسوارها، الغابة خرساء تستجدي صرخة طائر خائف أو نباح كلب مهزوم أو نعيق غراب، لا شيء، حتى أن حفيف الاغصان كان خفياً وسرياً تماماً، فجأة أفتحمتني فكرة أن أحدث صوتاً كأن أضرب برجلي جذع الشجرة أو أكسر غصناً أو أصرخ بأعلى صوتي، ضربت الجذع وكسرت الغصن وصرخت بعلو عقيرتي، وحين انتهيت تيقنت انني واقع في مأزق كبير، هل هو مأزق الخرس الموجل في الصمت؟ ها انا أرى كل شيء يتحرك حولي، العصافير تطير، وأوراق الأشجار تتحرك متراقصة مع

حركة الريح، ثمة ظلال عملاقة تحيطني، ربما هي ظلال الغابة نفسها وعادة ما تكون الظلال صامتة لا تصدر صوتاً، لكنها يمكن أن تحتل الأماكن بقامتها، الآن لابد من مخرج قريب وطاريء والا فستكون النهاية مرسومه أمام عيني المندهشتين، هل أكمل طريق الغابة أم أعود أدراجي من حيث ابتدأت؟ الى أين كنت ذاهباً؟ هل كنت هارباً من شيء يطاردني طيلة سنين حياتي؟

فجأة رأيت غراباً يحفر في الارض ولما رأني ولّى هارباً بين اغصان الاشجار العملاقة، هل كان يطمر سوأة أخيه؟ أم كان يعلمني كيف أحفر قبري بيدي؟ ثم ما علاقة هذا كله برحلي وصمتي المريب وضياعي وسط غابة مظلمة؟.. انتهت الى عصاي، كنت أحملها منذ البداية، تذكرت أن صديقي (سيد حسين) كان قد أهدها لي، نعم البداية كانت مع سيد حسين هو الذي شجعني على خوض غمار هذه الرحلة الروحية الى منبع أنوار الحبيب وقال لي انا معك سأحمل حقيبتك، اوه الحقيبة ..! أين الحقيبة وأين سيد حسين؟ كان معي حين انطلقت من منطقة الدورة تحت صهد شمس غاضبة، كان يمسكني من يدي ويقودني الى أمام في (أراض بور)، وصحاري شاسعة وجدران عالية تغلق بنايات كبيرة، رأيت في البداية غمامات

سودا تتقلب في أفق سراب كأنه البحر، ثم لمحت مجاميع لرجال
بملايس سود غريبة لم ألفها، كانوا يحملون الحقائب أيضاً ربما حتى
يعطوننا فكرة انهم أيضاً ماضون الى تلك المراقد المشرفة لكنهم فجأة
توقفوا ودخلوا منعطفاً يؤدي إلى شوارع ترابية ضيقة غير مألوفة
وهناك توقعت انهم كمنوا للقادمين، قلت هل نحن مشرفون على
الغرق في بحر لحيّ يسحبني زبده الى العمق؟ أم أنها رؤى وخيالات
رجل شارف على الموت وها هو يستحضر وقائع حياته قبل ان يغادر
الى السماء، كل الاخفاقات والاحزان والفقدانات وليل الصبر
الطويل، والخوف، والتشبث بتلابيب القلوب، موت وولادة و فرح
موؤود وسعادات زبدية لا تمسكها اصابعنا، هل هو الأنقطاع الذي
كنت أسعى إليه، واذا كان الامر كذلك فمن هؤلاء الذين يشكلون
نشازاً في طول هذه المسيرة المقدسة؟ عدت افكر بسنوات عمري التي
طواها الغبار، غبار الازمنة التي ملأت الرؤوس والأبدان، عباءات
أرواحنا ممزقة يمرح فيها الغراب، كنت أهجس النهاية وأنا في بداية
الرحلة وانها دورة الزمن التي تصل البداية بالنهاية، اقدم طفولتي
وهي تتلمس الطريق، أرضه ليّنة وطريّة أمام قسوة الاحجار ولزوجة
الطين وغرابة الحصى، الطرق لاتشبه بعضها في عيني الطفل المتوجس

من أهوال بدايته كنت ضائعاً في الزبد رغم انه زائل عن وجه الارض وهو نفس الزبد الآتي من عمق اللجج القادمة، اذن هؤلاء الزبديون يحاولون بعدميتهم ان يجاربونا ويعطلوا سيرورة الفكرة المقدسة في ارواحنا، ولأننا نحن الماكثون على الارض فلم الخوف من زبد زائل؟ ثمة بحور سرية لا يراها إلا من امتلك عيناً لها مخالب، ونحن القباطنة القادمون من بحور بعيدة كونتها دموع الايتام والشكالى على مد بطون التاريخ الاسود، البحر مالح لأنه قادم من تلك الدموع التي أغرقت العالم بعاره وشناره، ثمة رحلة قادمة وانا في بداية الطريق الى ينبوع المياه العذبة هناك حيث تختلط الدماء بمياه هاربة وخائفة، حيث الرمال والاجساد المقطعة الرؤوس، لمحت سيد حسين من بعيد فجاءني راكضاً..

- أين كنت؟

- كنت أبحث عنك

- ما الذي أخرجك عن الركب؟

- ثمة خطر داهم امامنا !!

- ماذا تقصد..؟

- أسمع قبل ان تكمل المسير .. لا بد أن نظف الأماكن التي يمر

بها الزوار الى الحبيب

- هل تقصد هناك دواعش..؟

- نعم.. إنهم أماننا ..

أمسك بيدي بقوة ووضع الحقيبة على ظهره، أما انا فقد أجريت عدة مكالمات وأخبرت الجميع بحقيقة الموقف والخطر الداهم الموجود في الطريق، ولم يمر وقت طويل حتى جاءت الجموع تركض أمامنا لتطهر الطريق الذهاب الى المنبع المقدس لأرواحنا الذي لم يكن حلما، لقد أخبرتني أغصان الاشجار بحقيقة الواقعة، ثم فجأة أصبح كل شيء أليفا وعذبا، ساعتها ايقنت اننا محروسون من قوى خفية، تحفُّ أجنتها بنا أينما يممننا وجوهنا ..

ثمّ لاحت أماننا بشائر الوصول، حيث انفتحت الأبواب واختفت الغابات وغارت الظُّلمات والوساوس والمخاوف...

ابن الشهيد

ظلّ يوسف يتأمل صورة أبيه المعلّقة قرب المصحف الملفوف بالخرقة الخضراء بجانب عود البخور الذي انتشر في جنبات الغرفة الضيقة، كم تمنى أن يأخذ المصحف ويذهب إلى الجامع القريب من البيت ليشارك الصبية قراءة القرآن ويهدي ثوابها إلى روح والده الشهيد، كل خميس من كل أسبوع تجتمع أمه مبلغاً بسيطاً من ولديها وتعمل مائدة تُهدي ثوابها إلى روح زوجها الحبيب، هذا الرجل المؤمن الذي لم يتباطأ أو يتوان منذ أن سمع بفتوى الجهاد الكفائي لمحاربة داعش بعد أن دخل الموصل وكان ضمن القافلة الأولى للشهداء الذين هبوا حياتهم للدين والوطن، بعد ذلك تطوع الابن الأكبر في فصائل الحشد وكان يذهب إلى المعسكر القريب للتدريب والتهيؤ للقتال، وكانت أمنية يوسف أن يذهب مع أخيه لرؤية المتطوعين وهم يتدربون، وفعلاً قرر أخوه أخذه معه وصار يوسف كل يوم يذهب إلى المعسكر يرى الرجال بزياتهم العسكرية وأسلحتهم وهم يتدربون

استعداداً لقتال عصابات داعش، ذات يوم سأل أخاه:

- هل يقبلون المتطوعين الذين هم بسنيّ؟

- لا

- لماذا؟

- لأنك مازلت صغيراً وتدرس في المدرسة، حين تخرُجك

يمكنهم أن يقبلوك

- ومتى ذلك؟

- حين تصبح شاباً وتكون قادراً على حمل السلاح ..

وهكذا بقي يوسف يتأمل المقاتلين في ذهابه وإيابه من المدرسة ويتمنى أن يكون مقاتلاً في صفوفهم يحمل السلاح ويقتل تلك العصابات التكفيرية، بعد أيام سمع يوسف أن والد صديقه في المدرسة استشهد في الموصل وأن مجلس الفاتحة أُقيم في شارعهم، لذلك قرر بعد رجوعه من المدرسة أن يذهب إلى مجلس الفاتحة ويسلم على صديقه، لكنه وقبل أن يخرج في صباح اليوم التالي طلبت منه أمّه أن يأخذ فلوس الإيجار إلى صاحب البيت الذي صار يلحّ كثيراً وعليهم أن يُسكّتوه، أعطته أمه المبلغ وحذرته من مغبة ضياع المال لأن أخويه عند ذلك سيعاقبانه عقاباً شديداً.

بعد انتهاء دوامه في المدرسة ذهب إلى بيت صديقه ودخل سرادق العزاء مسلماً على الجالسين ثم جلس قرب صديقه وهو يواسيه، كان صديقه يشكو ضيق الحال بعد رحيل والده وانعدام الكفيل للعائلة كثيرة الأطفال حتى لمح دمعة محبوسة في حدقتي صديقه، تألم يوسف كثيراً وفكر بطريقة لمساعدة عائلة صديقه التي تعيش على الكفاف، قال صديقه ان بعض المحسنين من الجيران اقترحوا فكرة انشاء صندوق لمساعدة العوائل المتعففة من عوائل الشهداء وأطلقوا عليه اسم (صندوق عوائل الشهداء) ..

استحسن يوسف الفكرة كثيراً وقال أنها قد تسهم في سدّ بعض المصاريف لهذه العوائل، وعليه اعتبرني أحد المشاركين في هذا الصندوق .. اندهش صديقه وسأله مستغرباً:

- ومن أين لك الفلوس؟ قال له:

- لا عليك.. المهم خذ هذا المبلغ والباقي يدبره الله ..

أخذ صديقه المبلغ وهو غير مصدق ما يراه لأنّ المبلغ كبير ولا يقارن بما يتبرع به الآخرون في الصندوق، قال يوسف في نفسه:
(هذا ثواب لروح والدي وليأتي بعد ذلك الطوفان .. سيقتلني أخوأي).

حين خرج من مجلس الفاتحة هام على وجهه ولا يعرف ماذا يفعل! وأين يذهب! وهل يعود إلى البيت! وإن عاد ماذا سيقول لأمه وإخوته؟ أين المبلغ؟ وهل دفعته للرجل؟ أسئلة كثيرة جداً لم يجد لها جواباً مُقنعاً.. هبط الليل بغلالته السوداء على العالم ويوسف يحوم حول البيت ثم يعود ليجلس على دكة باب المسجد، أحسّ بتعب وجوع شديدين قال في نفسه:

(لو أنني أخذ قسطاً من النوم لهدأت كثيراً)..

دخل المسجد فوجد باب المصلى مغلقاً، رأى في زاوية المسجد المظلمة توابيت قديمة جَمَعوها هناك، اقترب من تلك الزاوية مُتفحصاً تابوتاً مركوناً على الجدار، فتح غطاءه بتؤدة ودخل فيه، ثمة هدوء غريب يتسرب إليه شيئاً فشيئاً، أعاد غطاء التابوت عليه ثم أغمض عينيه، قال في نفسه:

(أنا الآن في وضع الميت، هكذا الموتى ينامون في توابيتهم، ليتني مُت واسترحت من كل هذا العناء، يا رب خذني لأبي فقد اشتقت إليه كثيراً، هو الآن في الجنة ينتظرنا)..

داعب الكرى عينيه وأخذته سِنَّةٌ من نوم، لا يدري كم من الوقت مضى وهو نائم في التابوت، ثمة صوت لأقدام تقترب منه ثم

امتدت يد من عمق الظلمة ورفعت غطاء التابوت، فتح يوسف عينيه
ومازالت آثار النوم بادية عليهما، كان وجه رجل عجوز بلحية بيضاء
وملامح أليفة يطل عليه من ذلك العمق المظلم:

- ماذا تفعل هنا يا ولدي؟

- أنا... أنا !!

- أعرفك جيداً أنت يوسف ابن الشهيد حسن أخرج من هنا
وتعال معي تسأل يوسف في نفسه (من أين يعرفني ويعرف أبي هذا
الرجل؟!)..

مدَّ الرجل العجوز يده له وأخرجه ثم قاده إلى باب المصلى الذي
فُتح له بسهولة، دخلاً هناك واقتعدا مكاناً قرب المحراب، استأذن
الرجل ثم عاد مسرعاً إلى يوسف وهو يحمل (سفرطاس) ممتلئاً
بالأكل ..

- أنت لم تأكل شيئاً، كل يا بني ولا تخف ..

وبسرعة البرق التهم يوسف ما قُدّم له بلذة وكأنه لم يذق طعم
الأكل من قبل .. سأله الرجل:

- احك لي ما الذي حدث معك؟

- لقد أضعت مبلغ إيجار البيت أو قل أنني تصرفته به ووضعته

في مكانه وأنا متأكد لو أمسك بي أخواي سيضرباني !!
- لا تخف يا بني اطمئن أنت في أمان الآن في الصباح سأذهب
إلى بيتكم وأطلب منهم أن يساحوك، نم الآن ولا تفكر بشيء ..
في الصباح استيقظ يوسف ليجد أمامه الرجل العجوز مبتسماً
ومطمئناً له

- صبحكم الله بالخير، هل نمت جيداً
- صبحكم الله بالخير، نعم الحمد لله
- أسمع، اذهب الآن إلى البيت فأمك قلقة عليك واخوتك
أيضاً ..

وقبل أن يخرج لحق به الرجل وأعطاه كيساً فيه بدلة عسكرية
ونسخة من القرآن ..

- هذه هديتي لك ارتد هذه البدلة حين تذهب إلى معسكر
التدريب، وهذا القرآن لك اقرأ فيه كل يوم وتعلم أن يكون معك
في كل مشاويرك في الحياة .. ما إن خرج حتى وجد أمه وهي تبكي
منتظرة قدومه وحين رآته احتضنته وهي تملأ وجهه بالقبلات ثم جاء
أخواه وصاروا يقبلونه، قالت أمه:

- لقد أخبرنا الرجل العجوز بما حدث كيف تعتقد أننا سنؤذيك

يا حبيبي؟

- أمي اعذريني لأنني أضعتُ مبلغ الإيجار

- هو لم يضع إنما ذهب لعمل الخير، ثم إن الرجل العجوز أقنع

صاحب البيت أن ينتظرنا شهراً آخر ..

في طريقه إلى البيت بعد نهاية دوامه من المدرسة مرَّ بالقرب من

المعسكر فشاهد كثيراً من الفتيان بملابسهم العسكرية وهم يتدربون،

وحين رأوه أقبلوا عليه وهم يخبرونه بضرورة التحاقه بهم للتدريب ..

فرح يوسف جداً خصوصاً وأن لديه بدلته أيضاً قالوا له:

- لقد سجّل اسمك الرجل العجوز بعد أن أخبر ضابط

التدريب بذلك، جهّز نفسك لأننا سنتدرب كل يوم بعد انتهاء دوام

المدرسة لنساعد المقاتلين الذين سيذهبون لمقاتلة داعش ..

كان يوسف مع زملائه وهم يرتدون ملابسهم العسكرية في

ساحة المعسكر، شاهد الرجل العجوز وهو يراقبهم راسماً على وجهه

ابتسامة رضا ومحبة، حين انتهى التدريب اقترب من الرجل وسلّم

عليه وشكره كثيراً لأنه منحه فرصة التدريب في المعسكر قال العجوز:

- هذا جزاؤك في الدنيا يا بني

- سكت يوسف متأملاً ملامح الرجل وكأنه يراه للمرة الأولى!

- من أنت يا عم؟

- ستتصرون على هؤلاء الأنجاس وستكون رجلاً شجاعاً
تُدافع عن بلدك ودينك، لقد جازك الله خيراً في الدنيا ولك في الآخرة
ثواب عظيم!!

- أرجوك قل لي: من أنت!

- أنت لا تعرفني أرسلني الشهيد والد صديقك لأُساعدك هنا
لأنك ساعدت عائلة الشهيد ..

فتح يوسف عينيه وهو في فراشه باحثاً عن الرجل العجوز
لكن عينيه وقعتا على صورة أبيه قُرب المصحف وثمة ابتسامة على
ملاحظه.....

ان موعدهم الصبح

هذا الصباح، السماء ملبّدة بالغيوم منذ الليلة الفائتة، والسماء تمطر مطراً مدراراً، الشوارع موحلة والنوافذ مغلقة والناس يغطّون في نوم قلق مضطرب وهم يأملون بدفء وأمان، منطقة الباب الشرقي كعادتها وجلة والسابلة يسرعون خائفين تحت نثيث المطر ويحتمون بالجدران والسقائف المثقبة من الشظايا والأنفجارات، صديقي بائع الاقراص الليزرية صاح بي حين رأني مسرعاً تحت المطر..

- مرحباً استاذ، كيف الحال

- ما زلت متماسكاً يا صديقي

أمس التقيت بصديقي الفنان الذي يدرس في معهد الفنون الجميلة، كان قلقاً وهو يضع امامي ورقة مطوية، قال بصوت خافت وهو يلتفت في جميع الاتجاهات.

- اقرأها بصمت

قرأت الورقة كانت رسالة تهديد وصلته من جهات مجهولة،

الرسالة تحمل تهديداً بالقتل .

في اليوم نفسه قال لي وهو يتحدث في الهاتف، انه سلم الورقة إلى احد المسؤولين في الحكومة وانه وعده خيراً وقد يدبر له ملاذاً آمناً .. قلت له:

-اطمئن الموعد قريب ستنجو لا تخف..

لكن الأمر بحساباته في الزمن النفسي كان بعيداً جداً بسبب الضغوط الهائلة المستمرة علينا في جميع الأماكن التي نرتادها، فضلاً عن الأخبار الساخنة القادمة إلينا من كل مكان والمملوءة تهديداً ووعيداً. وصلت الى مقر عملي ومازال المطرينث على الرؤوس الهلعة الخائفة من اقتراب مواسم القطاف المر.. الأخبار السوداء تترى علينا .. داعش يتقدم ويسقط المدينة تلو الأخرى بعد أن احتل الموصل .. الأخبار تقول، انهم يقتربون من بغداد. ما زلت أذكر حادث التفجير قبل بضعة أيام حين داهمت سيارة مفخخة بناية المجلة التي أعمل فيها، وكانت مليئة بأطنان من المتفجرات التي حطمت البناية بالكامل، وقتلت الحراس ودمرت جميع السيارات الرابضة في الكراج، المهم انني وصلت هذا اليوم الى عملي بسلام والله الحمد.

قلت لصديقي الفنان: ان العراقيين ماتوا وماتوا حتى أتعبوا

الموت، فمن حرب الى حرب ومن حصار إلى احتلال الى إرهاب، ولكن هل فعلا مات العراقيون؟ انهم يصرون على أن يعيشوا حياتهم، والذي شاهدته وبعث في قلبي غبطة كبيرة انهم في اليوم التالي لأنفجار ساحة الطيران في الباب الشرقي وموت العشرات من عمال البناء والشغيلة والعمال الباحثين عن عمل في المسطر، أقول في اليوم الثاني وفي المكان ذاته جاء عمال آخرون و نصبوا اخشابهم الجاهزة للصلب وبسطاتهم التي تستقبل الرؤوس المقطوعة، وعادوا ثانية الى ممارسة حياتهم في البيع والشراء وكسب قوت يومهم الطويل. نعم انها بغداد التي تستحم بدماء أبنائها وعشاقها لتبعث من جديد نظيفة من جسدها المهترئ وميازيب المطر و الدم صارت حجاباً لهذه المدينة الناس يتصادمون في الظلام انهم سكارى وماهم بسكارى، كلُّ ينتظر رصاصته التي ستخلصه من مخاوفه، هل هي رصاصة الرحمة في زمن خلا من الرحمة؟ أم هي رصاصة الغدر والمكر والفجيرة .. صارت غريزة الموت أقوى من غريزة الحياة .. الذعر يلهب النفوس ويستحوذ عليها، انهم جماعات سوداء لا تعرف سوى الحقد الطائفي والرعب والحرب، سوف تكتنف الدراما أعماق الكائنات الإنسانية لسنوات .. لكن .. انتظر يا صديقي أيها الفنان الجميل وأسمع ما

أتاني تَوّاً: لقد أصدر المرجع الأعلى السيد السيستاني فتوى الدفاع
الكفائي لمحاربة داعش حيث أعلنها ممثله في كربلاء ووكيله الشيخ
عبد المهدي الكربلائي .. بين يوم وليلة تغير كل شيء .. كانت حداً
فاصلاً بين موت وحياة وظلمة ونور.. انظر يا صديقي: العراق
يتنفس من جديد وبغداد تستيقظ من نومها آمنة مطمئنة

حدود الخوف

أجلسُ الآن في حجرتي الضيقة، مُعتكفي السريّ الذي يبعثني عن الجميع، أراقب أخبار التلفاز أتذكر كيف أن معاني الكلمات تغيرت جميعها وصارت تعطي عكس ما تضمنره من معان، وكيف أن الأشياء الأخرى التي لها مساس بحياتنا قد تحولت وصارت أشياء على الضد من فحواها، فالأبيض لم يعد أبيضاً وكذلك الأسود الذي صار رمزاً جديداً لمجاميع ومسلحين بثوا الرعب في كل مكان على الرغم من أن الاسود هو رمز الحزن والقداسة ابتداء من ثياب الحداد الى لافتات القتلى والشهداء إلى طعم عاشوراء ومذبحة الطف الأليمة الضاربة في الحزن والتطهر والتضحية والفداء، بينما ظل البياض محافظاً على طعم الموت الطازج وشكل الكفن الذي يغلف الاجساد المعبأة والراحلة الى عوالم القبور والبرازخ. أذكر الآن كيف أصبح الخطر مختلفاً لكن الذي ما زلت لم افهمه حتى الآن هو لماذا كرهونا بهذا القدر من القوة منذ طفولات التاريخ الاولى؟ لقد أخذوا منا كل

شيء حتى أحلامنا في التحرر ذات يوم من وهم الهيمنة والاستحواذ،
و حين بدأنا نتحرر انفجر كل ما حولنا وصار عبارة عن براميل من
البارود، لقد أخذوا كل أصحابي واختفى الجميع في مقابرهم الجماعية،
ولم يطل الوقت حتى أتوا لأجلي، كنت ساعتها في البيت أنهيت صلاة
العشاء وتناولت وجبتي الأخيرة مع ابني الوحيد وصديقي القريب
الى نفسي، ثمة هاجس يحاصرني ويقودني الى مناطق مجهولة لم أرها من
قبل، هل يمكن أن تنتهي حياتي في مكان رهيب كهذا؟ ولكن ولمدة
ثلاث سنوات ونصف اصبحت لدي كدمات حتى في روحي، هل
يجب ان أموت هنا؟ إن كل جزء مني يدوي، كل جزء ماعدا شيء
واحد، انه جزء صغير غير قابل للكسر، وكان هو الشيء الوحيد الذي
أمتلكه، انه التحدي والرغبة في المواجهة حتى الموت، ولهذا فلا يجب
ان نسمح لهم بسلبه منا، حافظ على روحك من ان تمسها سياطهم
المسمومة، اما الجسد فربما يخون ويتواطأ مع اغراءاتهم مخافة ان يستمر
عذابه، انه يخاف من نظرات الجلاد، يرتعد فرقا ورعباً منهم، لذلك
فهو لا يعول عليه كثيراً، ومع ذلك أخضعته لتجارب كثيرة بعد أن
خرجت من سجني القديم، وحين ظهر داعش والمسلحون ذوو
الملابس السود أرادوا إرعاب الناس وتخويفهم وبالفعل حققوا هذا

في بعض المدن التي سيطروا عليها، لكنهم لم ينجحوا مع آخرين كانوا يعرفون كيف يواجهون تلك الذئاب البشرية الشرهة، ثم حدث ما حدث وخطفتني احدى الجامعات المسلحة.

قلت في نفسي تهباً للآتي وكن صلداً كما تعودت دائماً فقد نجحت في الاختبار القديم وعليك ان تنجح في هذا الاختبار أيضاً، فأولئك من هؤلاء، وهؤلاء من أولئك نفس الطينة ونفس المنبع المر..

- انا مكلف بإخبارك أنّ المحكمة الشرعية قد أدانتك لكن اذا ثبت ورجعت الى أحكام الاسلام والشرع قد تنجو!! هل تفهم ما اقول؟

كانت لحيته الطويلة ترفرف كأجنحه الخفافش في ليلة مظلمة

- نعم

- هل أنت مستعد ان تقرأ الشهادة وتتوب؟

-

- أراك سكت

- لا أملك جواباً

- هل هذا يعني انك ترفض؟

-

- حسن خذوه وجهزوا مجموعة من المجاهدين لإعدامه، خلف
بناية السجن.

بعد وقت قصير يدخل رجل آخر أشد قبحاً من الأول قال لي:

- لقد حان الوقت

- نعم سأكون جاهزاً لكم

- أسمع.. هل أنت غبي..؟ كل الذي يريدونه منك هو إعلان

براءتك و شهادتك وتوبتك لتعود الى الاسلام الحنيف من جديد
وعليك ان تتعاون مع المجاهدين...!

- شكراً لك.. لكنني افضل الموت خلف جدران هذا السجن

(صمت)

ثم دَخَلْتُ عليَّ مجموعة من الرجال بالملابس السود واللحي
والاسلحة الرشاشة عصبوا عيني واقتادوني الى مكان توقعت انه
المكان الذي سأموت فيه.. ثمة همس أسمعُه يملأُ أذني :

-ها أنت تخرج من المحنة، لم تعد لديك أيّة مخاوف.. أنت حر

الآن...!!

- ماذا؟

صحتُ بأعلى صوتي بحيث سمعني كل المسلحين الجاهزين

لقتلي سمعت اطلاقات رشاش بعيدة، الصوت يقترب شيئاً فشيئاً،
وصوت طائرات قادمة واطلاقات كثيفة .. هرب المسلحون واختفوا
بسرعة البرق، كنت واقفاً في مكاني معصوب العينين منتظراً الطلقة
التي سأسافر معها الى برزخي الحديد .. (انت تتجاوز حدود خوفك،
لقد عبرت الى المنطقة الآمنة توأً)، أحسست بأيد دافئة ورحيمة
تقودي وتزيل العصابة السوداء عن عيني، كان مقاتلوا الحشد قد
اقتحموا المكان وقتلوا جميع الموجودين فيه، ولم يبق أحد في الممر الذي
قادوني منه، حين خروجي لمحت حارساً بملابس سوداء لم يتحرك
وحين مددت يدي إليه لأمسكه اكتشفت انه رجل من قش، قش
فارغ، أحسست ساعتها ان قلبي صار أشبه بعصفور خرج من قفصه
عائداً الى موطن الأمن والأمان الى هناك صار يغني ويرتقي نحو
سما رحيمة وواسعة...

النصر أو الشهادة

صوت: عندما كنت أصعد السلام قابلت رجلاً ..

صوت: من هذا؟

صوت: الى من أتحدث الآن ..؟

صوت: من أين جئت؟

يفتح عينيه المجهدين على مشهد جديد، ثمة غرفة مظلمة وهو يجلس بين مجموعة من الرجال المقيدين، من هؤلاء؟ ومن الذي قادني الى هنا؟ حاول أن يتذكر ما حدث له في الليلة الماضية ..

آه نعم كنت في فندق على الطريق الخارجي، كنت مسافراً ومعني أناس كثيرون، كانت الليلة عاصفة ممطرة وجد نفسه محاصراً، ثمة من يكلمه، يحاول ان يستمر معه في الحديث، تساءل:

- ماذا يحدث؟ هل ثمة من يسمعي، هل اكلم نفسي كما لو كنت

مجنوناً..؟ أين أنا إذن؟ وهل ما زلت في ذلك الفندق الغريب؟

حاول أن يتذكر مغمض عينيه.. آه تذكرت الآن: نعم كنت

أقود سيارتي مع زوجتي ذاهبين الى كركوك لزيارة أختي المريضة..
 لقد حذروني .. قالوا لا تخرج هذه الايام ولا تقترب من منطقة
 (العظيم) لم أسمع الكلام ولم انتبه للخطر المحيط بي، ركبت سيارتي
 مع زوجتي وانطلقت لأرى أختي التي قد لا اراها بعد ذلك، انها
 مريضة جدا وبها حاجة الى وجودي معها ورعايتي لها قد تموت في
 أية لحظة، لكن المطر كان شديداً والريح عاصفة، توقفنا في منتصف
 الطريق وانحدرنا الى فندق صغير منسي لنقضي ليلتنا وبعدها نكمل
 السفر، الفندق عالق هو الاخر، العاصفة والمياه التي تحيط به، اذن
 ماذا حدث في الفندق؟ أمر غريب حدث هناك، لقد بدأ الناس
 يخنفون وكانت الكهرباء مقطوعة، ما الذي افعله داخل هذه الغرفة
 ثمة من يستيقظ قربي ويبدأ بالصراخ، كان يرتجف كورقة شجر في
 مهب الريح، لمست وجهه الذي بلله عرق غزير، هو.. هو مريض
 كان فتى صغيراً ذكرني بفتوتي حين كنت أرى بعينين هلعتين ما كان
 يحدث أمامي حين اقتادوا أبي من مرقدته وربطوه بالجامعة الحديدية،
 كانوا يضربونه بكعوب المسدسات حتى انني رأيت الدماء تنبثق من
 جبهته التي كثيراً ما كانت تلامس التربة بسلام في صلاته، لم يفقد
 الوعي وظل يقاوم أيديهم التي تشابكت فوق رأسه بعد ذلك رأيت

جسده مليئاً بالجروح القديمة والندوب، قال لي: انها آثار كعوب
البنادق التي كانوا يضربونني بها.

الآن حلّ صمت طويل شلّ تفكيري، سكت الفتى من صراخه
حين سمع صوتاً قوياً آتياً من خارج الغرفة .. من الذي يصرخ؟ اقتلوا
كل من يتكلم.. هؤلاء الرافضة الأنجاس اقتلوهم شر قتلة وتقربوا
الى الله بموتهم .. لا أعرف ماذا أريد وكيف أفكر وأنا أحاول أن أتذكر
من الذي قادني الى هذا المكان الملعون، أتذكر أنني تلقيت لكلمات قوية
في وجهي وثمة من يغرز شيئاً يمزق احشائي حتى فقدت الوعي ..
هل هذا كل شيء؟ .. ما الذي يمكنني القيام به في ليلة عاصفة كهذه في
مكان مجهول لا احد يعرف عنه شيئاً. فتحت عيني لأتفحص المكان.
أخفت زوجتي والسيارة والجميع لم يبق سوى صوت هطول المطر
العنيف والعاصفة التي تحاصرنا، لكن يبدو ان صوت الصراخ انقطع
أيضاً، هناك من يُعذّب وهناك من يموت في هذا المكان المظلم ورأيت
في طريقي جثثاً مقطوعة الرؤوس، كانوا يتقصدون أن يمروا من
هناك حتى أرى كل شيء وحتى أتوقع كيفية ميتتي القادمة .

- انه الذبح سألتحق بالضحايا..

- أنتظر ماذا يذكرك هذا المشهد ..؟ ألسنت أنت الآن في ساحة

طف جديدة تقف أمام القتلة الذين قتلوا الحسين وآل بيته وها هم اليوم يقتادونك لتتحقق بركب الشهداء، لماذا انت خائف إذن؟ هي فرصة ذهبية كم تمنيت ان تتحقق وانت تصرخ ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً، ها هو الفوز قادم اليك فمت وانت مرفوع الرأس شامخاً كالحسين، أعرض عن كل هذه الاصوات واتركها خلفك، هم يريدون تحطيم معنوياتك، ولأنك ستموت في كل الأحوال اذن عليك ان تختار ميتتك الباسلة، وأصرخ في وجوههم ليبيك يا حسين، الحسين هو بلدك الذي لا غنى لك عنه سيوافقك الجميع لأن الحسين للجميع وقد كان يبكي على الجميع بل انه بكى حتى على قتله لأنهم سيدخلون النار بسببه، وأنت الى أين وكيف ستدخل مكاناً أوسع من هذا قليلاً، ستدخل جنة الحسين في رداءه الممزق وعمامته التي تلاقتها الريح والكواسر على رمضاء كربلاء.. لقد ماتت زوجتي مذبوحة والناس الذين سكنوا في الفندق خطفوهم جميعاً واتوقع انهم موتى مقطوعو الرؤوس .. اعذريني يا أختي لم أعد قادراً على الوصول اليك، سأموت هنا مع هؤلاء الناس المجهولين .. صار يُحدّث نفسه: انت لا تعيش في اي مكان، اعلم انّ هذا أمر يصعب قبوله، كل الذين قابلتهم في الليلة الماضية ماتوا في الفندق مذبحين، والاشخاص الموجودون

معك في هذه الغرفة سيلتحقون بهم ان آجلاً أم عاجلاً، في غرفتي هذه أرواح ضائعة بغض النظر عن ألوانهم وسحناتهم وملاحمهم ودينهم وطوائفهم، ماذا يرتدون، هم الآن سواسية يشتركون في مصير واحد، هم أبناء هذا البلد المظلوم اقتادوهم الى هنا ليلاقوا حتفهم بطريقة بشعة ..

- صرت أسمع اطلاقات رشاشات قريبة، انها تقترب شيئاً فشيئاً، يجب أن أكف عن الاختباء عليّ أن أوقظ الجميع لتخلص من قيودنا وعصابات العيون التي تزيد الظلام حلقة، لماذا نكمن في هذه الغرفة الضيقة، أنا لم أمت بعد وهؤلاء ما زالوا أحياء يتنفسون، لا بد من اليقظة، ان نصحو من جديد ونستقبل الطلقات النارية القادمة، نحن في سكوننا أقوى من حركتهم الوحشية التي تحيط بهذا المكان نحن بوجوهنا المسالمة أجمل من لحاهم الشيطانية الخبيثة، لم يكن مجرد حلم عابراً أو كابوس مقيم، إنّه واقع جديد حاول الارهابيون إخفاءه بسواد الموت والدم ولكن لن نسمح لهم سنقف بكامل عدتنا وعددنا مهيين وصارخين أما النصر أو الشهادة..

فتاة سنجار

هذا الصباح يشبه الصباحات الماضية، يقف متشمماً الغيوم المحيطة بالجبل، يشعر بخفة جسده وهو يحاول أن يطول الغيوم الشفافة، كان يحب الجلوس على صخرته الاثيرة الى نفسه القريبة من جبال سنجار، هذه الصخرة المكونة على جانب من الطريق كثيراً ما يجلس عليها يتسامر مع ذاته ويدخن السجائر متأملاً الطبيعة المسالمة من حوله، يشعر بحزن الجبل المكلل بالبياض كعجوز ملاً قمة رأسه الشيب، هو يرسم الجبال بوعيه مع الاشجار والفرشات والعصافير، يمكنه صناعة الثياب من أردية الثلوج المحيطة به، منذ نكبة الايزيديين هنا في جبل سنجار جمع كل ما يفكر فيه من مشاعر متضاربة ليؤرخ ويدون في صفحة قلبه كل المذابح التي حدثت هنا، كل شيء كان عنيفاً، قاسياً، صارخاً، ملتاعاً، أجساد ممزقة، شوارع مهجورة أبنية محطمة، خرائب يغطيها الدخان، قوافل بشر يحملون صررهم على الرؤوس منهكين يائسين متجهين الى المجهول هرباً من الموت

الوشيك، طار دخان السيجارة مختلطاً بالنسيم الذي لفّ تضاريس
جبل سنجار بكل أشجاره وأصوات الطيور المحلقة فوقه ..
بعد نكبة الايزيديين حزن الجبل وحزنت الارض والصخور
والطيور والشجر، حتى صخرته التي يجلس عليها حزنت ايضا لما
رأت من مشاهد بشعة في تلك الايام .. ظلّ يمدّ بصره الى الامام
مخترقاً أجمة الشجر والمسالك المتشعبة لها، لمح من بعيد طيف فتاة
يتهادى قادماً من المجهول، حين اقتربت انضحت صورتها أمامه،
كانت تغطي رأسها بخمار أحمر فيه خطوط بياض وعليها سترة طويلة
تقيها من برد الجبال وثلوجه بينما تماوجت أطراف ثوبها الواسع تحت
حواشي السرة، كان ثوبها بني داكن، فجأة توقفت الفتاة حين لمحت
طيف شاب يقتعد صخرة على جانب الطريق، وقف الشاب متحفزاً
لملاقاة الفتاة، شعر انها مقبلة نحوه هي تتجه بخطاها الوئيدة اليه،
حاول ان يتقدم نحوها لولا خجل فاجأه وأربك قدميه وعطلها من
التقدم، الى أين تتجه هذه الفتاة؟ نسي سيجارته التي أوشكت أن
تتحرق أصابعه، أنتبه لها ورماتها على العشب الرطب. لما اقتربت منه
خاطبته بلغتها الكوردية :

- رأيتك من بعيد وتوجهت اليك .. لم أر أحداً في طريقي ..

المدينة مهجورة

- أهلاً ومرحباً بم استطيع خدمتك .. سألها متلهفاً لجواب يريح
تساؤلاته التي لا تنتهي .. لم تجبه عن سؤاله .. قالت

- اسمي بيريفان

- عاشت الأسامي بيريفان

لاحظ الشاب آثاراً داكنة حول عينيها لا تليق بعمرها الذي لا
يتجاوز العشرين سنة، قصيرة قليلاً ونحيلة واقفة قبالة بكل هدوء،
نقلت بصرها بعينيها الحزبتين الى لون الخضرة الذي احاط بالمكان ..
قالت :

- كنا نعيش هنا في هذا المكان الجميل أنا وأمي وأبي وإخواني
وأخي الصغير.

- وأين ذهبوا الآن ..؟

- ماتوا جميعاً .. قتلهم المسلحون بلا رحمة ذبحوهم وعلقوا
رؤوسهم على أغصان الاشجار ... لكن بقي أخي الصغير، هرب
منهم ..

- وأنت ألم تخافي حين تمشين وحيدة في هذه الأماكن ..؟

- ولم أخاف ..؟ أنا ميتة ..!

- ميته ..!!

بداله الأمر أشبه بالمزحة التي تخفف من وطأة الحديث الحزين،
ميته وتمشي وحيدة ثم تأتي لملاقاته لا بد أنها تريد شيئاً، تريد أن تخبره
بأسرار لا يعلم ماذا تريد منه..

- بم أستطيع خدمتك بيريفان ..

- أنظر إلى بحيرة (لالش) لو أنني سبحت بها لأصبحت مرئية

للعيان

- هذا فعل سحر ..

- البحيرة ساحرة وماؤها منعش، هل جربت السباحة فيها ..؟

- حين كنا صغاراً كنا نقرب شيئاً فشيئاً من المياه الباردة

- لدي ما أخبرك به

- تفضلي كلي آذان صاغية

اقتربت منه ولا مست شفتاها اذنه وصارت تهمس له بكلمات
وأسرار بينما هو ظل فاتحاً فمه وعينه على وسعها كما لو كان يتلقى
اخباراً تخصه هو وحده دون غيره...

في الصباح الباكر استيقظ العجوز شاهين وهو يحرك جسد

زوجته..

- استيقظي روزين .. بالله عليك ...
- ماذا هناك؟ لماذا انت مستيقظ في هذا الوقت ...؟
- لقد رأيت ابنتنا في الحلم.. كان يحمل رسالة لنا
- ما هي..؟
- هل تتذكرين بيت أهل بيريفان ...
- نعم اتذكرهم جيدا واتذكر كيف قتلهم الدواعش عن بكرة

ابيهم

- لقد التقت بيريفان بابنتنا
- ماذا ارادت منه ..؟
- تريد إنقاذ اخيها الصغير..
- ألم يمت ..؟
- لا .. لأنه هرب في اللحظة الأخيرة، وهي على ما يبدو تعرف مكانه لهذا أخبرت ابنتنا ليخبرنا ونقوم بانقاذه قبل ان يكتشفوا مكانه ويقتلوه ..

نهضت روزين تعد الفطور بعد أن أخبرها زوجها بضرورة خروجه بسرعة قبل ان ينفد الوقت ويموت الفتى ..

خرج الرجل العجوز يسير بخطى وثيدة وهو يتجه الى الصخرة ذاتها التي كثيراً ما كان ابنه يجلس عليها يدخن السجائر وهو يتأمل جبل سنجار وكل ما يحيط به، حين اقترب منها أخرج منديله وصار يمسح عليها معتقداً انه ربما يمسح دماء ابنه الذي ظل رأسه المقطوع عليها طيلة أيام من غير أن يجرؤ أحد على الاقتراب وحمل الرأس ودفنه، قال بصوت مسموع، لابد من انقاذ الفتى ولو كلفني ذلك حياتي، اتجه الرجل العجوز صوب الجبل الاشم وهو موقن من الوصول إلى مكان اختباء الفتى الذي ظلّ ينتظر من ينقذه وقتاً طويلاً...

الموت والحياة

تقدم الصحفي الشاب من مجموعة مقاتلين في الحشد الشعبي،
قائلاً في نفسه:

هي فرصة نادرة أن أكتب شيئاً ذا قيمة في أول واجباتي الصحفية،
لقد أصر السيد مدير التحرير على ذهابي إلى الأماكن الساخنة وكتابة
تقارير صحفية واجراء لقاءات مع المقاتلين، وعلى الرغم من
اعتراض أمي وزوجتي على ذهابي إلى هناك لكنني كنت مصراً لا
لأجري اللقاءات الصحفية فقط وانما لأشارك اخوتي المقاتلين الذين
يدودون عنا بأرواحهم ودمائهم. وقعت عيني على شاب يجلس في
عربة المقعدين وهو يرتدي بزته العسكرية وقد أحاط به رفاقه وهم
يتكلمون ويضحكون، اقتربت منهم والقيت عليهم التحية فردوا
جميعاً قلت لهم:

- اخواني أنا في مهمة صحفية ومن حُسن حظي انني عثرت
عليكم لتحدثوا لي عن قصصكم البطولية وأتم تحاربون داعش

والارهاب..

نظر كل الى صاحبه، ثم التفتوا الى الشاب الذي يجلس على
العربة وقالوا بصوت واحد لا ينفك هنا سوى أحمد .. وأكملوا
وهم يتحدثون معه..

- أحمد أخبره بما قمتَ به وما حدث لك وأنت تقاتل داعش..
هياؤوا لي كرسيّاً قرب أحمد جلستُ، سلمت عليه وصافحته
قائلاً:

- اتشرف انني اجلس مع بطل من أبطال حشدنا
- لا العفو أخي هذا واجبي وأعتقد أنّه واجب كل عراقي
- صدقت، بارك الله فيك
سكت أحمد متأملاً الأفق المفتوح أمامه وكأنه يسترجع شريط
الاحداث في ذاكرته ..

- ذات يوم وبحدود الساعة الخامسة فجراً جاءنا نداء كنت
نائب ضابط في جهاز مكافحة الارهاب، العمليات الخاصة / الفرقة
الذهبية، كان الواجب هو التوجه الى منطقة (الحراريات) التابعة
لقضاء يبجي في محافظة صلاح الدين، فقد تعرضت المنطقة الى هجوم
كبير من تنظيم داعش، كنت اقود عجلة داخلها خمسة مقاتلين، ذهبنا

الى المنطقة بحدود الساعة السابعة صباحاً ورأيت هناك دماء اخوتنا الشهداء التابعين للحشد والرد السريع فضلاً عن عمليات صلاح الدين، فجأة جاعني نداء بالانسحاب وتغيير المحور، وانا في طريقي للانسحاب رأيت رجلاً مسناً مصاباً بإطلاقات نارية بالغة، فكرت قليلاً وقلت: لو انسحب الآن سيموت هذا الرجل، هل يمكنني انقاذه لو عدت مسرعاً إليه، في تلك الأثناء علم رفاقي في العجلة وما أفكر فيه قالوا لي: انها مجازفة قد تموت قلت لهم وقد أعود معه .. انتظروني .. وبسرعة البرق فتحت باب العجلة وركضت باتجاهه، وصلت اليه وحملته على كتفي وكنت أركض عائداً بصعوبة، كان ثمة قناص داعشي يتابع خطواتي العائدة الى العجلة أطلق علينا هذا الداعشي صاروخاً أدى إلى إصابتي بساقي واحتراق جسمي مع اصابات في الصدر والبطن واليد، توقف أحمد قليلاً لالتقاط انفاسه وهو يطرق برأسه الى الارض كما لو كان يبحث عن شيء فقد منه، حين رفع رأسه ثانية كانت امارات الحزن ترسم على وجهه ملامح من إعادة المشهد القديم بكل أحداثه أمامه، قال :

- كان الموقف صعباً جداً، كنت مصاباً اصابات بالغة ولا أستطيع النزول من العجلة التي كانت تحترق، رفاقي داخل

العجلة كانوا مصابين أيضا لكنهم استطاعوا النزول منها والهروب بعيداً، وبقيت أنا داخلها وهي تستعر بالنار متحولة الى ما يشبه التنور الملتهب، فجأة وأنا أصارع الموت محترقا فيها لمحت داعشياً يستل سكيناً ويتجه نحوي لينحرنى، فقامت بسحب مسدسي الشخصي من حزامي وأطلقت عليه ثلاث رصاصات أصابت كتفه، ففر هارباً، بعدها هرع اليّ رفاقي المقاتلون وسحبوني من العجلة المحترقة، حين وصلت الى المستشفى كنت بين الحياة والموت ..

حين توقف عن الكلام تحدث أحد رفاقه مستغلاً صمت أحمد :
- نقلوا أحمد الى عدّة مستشفيات وأجريت له عمليات فوق

الكبرى

قال زميله الآخر :

- لقد أجرى حتى الآن ١٧ عملية جراحية ..

ثمّ - و كما لو انه تذكر شيئاً مهماً - قال أحمد :

- الرجل المُسن الذي أنقذته وكان من محافظة البصرة، رأيته

في أحد المستشفيات التي كنت أتعالج فيها، كان بحالة جيدة، أخبر

الرجل أولاده وهو يشير اليّ، فجاءوني وشكروني لأنني أنقذت

والدهم من موت محقق، فرحتُ جداً حين رأيت الرجل وقلت الحمد

لله لم تذهب تضحيتي هباءً..

قال أحد زملائه :

-لقد شارك هذا الرجل -يقصد أحمد- بتحرير عدة مناطق من

تنظيم داعش في الأنبار والحويجة وبيجي وتكريت والموصل ..

ثم أضاف:

- قُتل على يده العديد من الارهابين وقياداتهم. بقي أحمد مطرماً

رأسه إلى الأرض كما لو أنه خجل من كلام رفاقه الذي يشيد به

ويذكر بطولاته، قال:

- أنا مقاتل صغير بين هؤلاء الشجعان، هم علموني الكثير،

وتضحياتهم علمتني أن في الموت حياة للناس وللوطن وأن الشهادة

هي منزلة لا يناها إلا ذو حظ عظيم، فجأة سمع أحمد من ينادي عليه ..

فاستأذن منا و قاد عربته باتجاه بناية قريبة وهو يرفع لنا يده

ملوحاً إلى اللقاء»..

ليلة سوداء

كتبت (ناديا) في مذكراتها :- لقد اخترتُ المانيا كمستقرٍ أخير
لحياتي عساني أنسى ما مرَّ بي من مآسي كبرى يشيب لها رأس الوليد،
فقد دخلت المستشفى هنا في برلين لأعالج من الآثار النفسية والجسدية
التي تعرضت لها جراء انتهاكات تنظيم داعش الارهابي بعد أن هاجم
مدينتي واحتلها وأحرق الاخضر واليابس، أنا على الديانة الايزيدية
أسكن في سنجار واحلم بفارس احلامي الذي سيأتي ليحملني على
فرسه البيضاء ويطير بي الى جنة حلمت بها كثيراً هي اشبه بمدينة
اليوتوبيا الساحرة والخالية من العنف والارهاب والدمار، في البداية
حاولنا ان نهدأ ونتصرف بسرعة قبل ان يقتحم الدواعش علينا بيوتنا
وقد حاولنا فعلاً لكنهم كانوا أسرع منا حيث اقتحموا البيوت والقوا
القبض على الناس وهم في أسيرة نومهم، أُخْتِطِفْتُ مع ١٥٠ امرأة
ايزيدية واقتادونا الى الموصل وتلعفر والحمدانية لمدة ثلاثة أشهر،
وقد فصلت عن أمي واخواتي ولم أرَ أمي حتى هذه اللحظة.. توقفتُ

قليلاً لتسترد انفاسها وهي تحتسي جرعة من الماء بينما القهوة منتظرة ان تتذوق شفتها طعمها المرّ..

- انها إبادة جماعية.. هذا ما قام به داعش الهمجي الذي لا دين له، فقد قتل أكثر من (٧٠٠) رجل في ساعة واحدة من بينهم أخوتي الستة، أخذونا الى أماكن مجهولة ليتاجروا بنا مع النساء والأطفال وقد وصل عددنا الى (٥٠٠) رجل وامرأة وطفل من طائفتي الايزيدية، وبين يوم وليلة تحولنا جميعاً الى بضاعة تُباع وتشتري وصاروا يقومون باغتصابنا كل يوم وكأنهم قرروا ألا نعيش حياة طبيعية مرّة أخرى أبداً. كانوا يمارسون معنا أفعالاً بشعة بطريقة تخدش الحياء وقد أحتجزتُ في مبنى مع عدد كبير من النساء الايزيديات والاطفال الذين يقضون الليل بكاءً ونحيباً وكانوا يُسكّتونهم بالرعب والضرب المبرح حتى يفقدون الوعي وينامون من الخوف ويتبولون على أفرشتهم بشكل لا إرادي.

ذات يوم اقترب مني داعشي متشدد ضخّم الجثة كأنه وحش مفترس، توسلت اليه وأنا أبكي بدموع سواجم أن لا يُمسنني فانا فتاة صغيرة لا أحتمل وضعاً كهذا، وما ان أنهيت كلامي حتى انهال عليّ بالضرب والشتائم، قادني بعد ذلك الى غرفة بعيدة، أغلق الباب

وأعطاني ملابس داخلية غير محتشمة مع علبة مكياج قائلاً اعلمي مكياجاً لوجهك أيتها العاهرة ..! لم أكن أعرف كيف أضع هذه المساحيق على وجهي ولا كيف أردي تلك الملابس الفاضحة التي أشبهها بتلك التي ترتديها الراقصات في حفلاتهن الخاصة، وكان هو يراقبني نافد الصبر وعينه تتطيران شرراً، وحينما رأى انني ساهمة واقفة كالمسرنة لا أقوم بأية حركة، هجم علي ومزق ملابسي وقام باغتصابي أكثر من مرة حتى أخذني نرف من الدماء التي ملأت أرض الغرفة، نقلوني بعدها إلى مصحة لهم حتى استرد عافيتي لأعود على ماكنت عليه. أما هو فقد ملّ مني وتركني إلى مجموعة من الوحوش المتربصة بي شرراً، كانوا كالذئاب التي تنتظر فريستها لتقوم فينقضوا عليها مرّة واحدة وهذا ما حدث، أنا، أصبحت امرأة اخرى ظلاً أو شبها يتنفس بعيون جامدة لا ترى شيئاً في الافق المغلق أمامها، أسمع عن الكثير من النساء اللواتي اجهضن ومنهن من يموت بسبب الالهمال والمرض والجوع والخوف، وصار اغتصاب القاصرات أمراً شائعاً جداً في هذه الأماكن التي تواجدنا فيها في مركز حكمهم المنحرف في الموصل. سأروي للناس عن السجنان البشع الذي لا يرحم وكيف انه جردني من ملابسي قبلاً يقدمني الى مجموعة من

عناصر التنظيم الذين تناوبوا على اغتصابي حتى فقدت الوعي، بعد ان صحوت جاءني داعشي شاب، كلمني بهدوء وكان يفتعل هذه الحالة حتى يوثر علي بأسلوبه هذا قال: عليك أن تغيري دينك، فانت كافرة وتستحقين القتل .. أنا أريد لك الحياة، كان يجلس خلف مكتبه المغطى بالقماش الاسود وكنت ارتجف أمامه، فانا لا أريد أن أغير دين آبائي وأجدادي..

- ها ماذا تقولين؟

وحين لم أنس بنت شفة اقتادني الى بيته، وهناك عرفني على نساءه معتقدا أنهم قد يؤثرن علي وأغير ديني، قال لي :

- أسمعني سأعقد قراني عليك لأحميك من القتل .. بعد ذلك عليك ان تغيري دينك لتنجين من موت محقق. مرّت الأيام وخلال ذلك عقدت صداقة مع إحدى نساءه وكانت ايزيديه، قالت لي: إنه يحبني جداً وبدأ يثق بي وعليه فقد وضعت خطة للهرب من هذه البؤرة الملعونة، وفعلاً نفذنا خطتنا في ليلة بهيمة وكان هو يطلق شخيراً عالياً اردنا الخروج من غرفته، لكن صديقتي قالت .. انتظريني.. عادت الى الغرفة واستلّت خنجرأً من حزامه المعلق فوق رأسه واحتزت رأسه فانبتق الدم كالنافورة وهو يغطي الافرشة وجسده الذي ظل يرتجف

ويشخب بالدماء، حينما عادت قالت لي الآن أخذت ثأري وثأرك
منه، هيا بنا ...

فتحت (ناديا) عينيها وهي على المنصة أمام مئات من الجالسين
في محفل عام، آه انه مجلس الامن الدولي، سأروي الآن قصتي التي
كتبتها بالدموع والدم وعليهم ان يروا بأعينهم ما حدث لنا من
مأساة كبرى، حين اطرقت رأسها ارضاً وعيناها تلتهمان الكلمات
المكتوبة امامها سمعت تصفيقاً حاداً من القاعة الضاحجة بكلمات
الاطراء والترحيب. قالت في نفسها: لقد أوصلت رسالتي. بعد ذلك
ذكرت وسائل الاعلام العربية والعالمية ومواقع التواصل الاجتماعي
الكلمة التي القتها الفتاة الإيزيدية العراقية ناديا (٢١ سنة) والتي
أبكت عدداً من أعضاء مجلس الامن وظلّ صداها مدوياً في مختلف
النفوس والافتدة...

الوحش

كنا قد اعتقدنا بموت الوحش الكاسر الذي أناخ بكلكله على المدينة وبسط سيطرته علينا، حتى أعتقد الناس أن ما من انسان سيتمكن يوماً من النجاة من برائنه، ففي ظل هيمنته، أخذت بغداد تغرق شيئاً فشيئاً بظلام دامس .. هل مات؟ وإذا كان قد مات فمن الذي يصل ويجول في شوارع مدننا الآن، إن لم يكن هو أو أبناءه الذين خلفهم حراساً على رقابنا، بقيت صورته في ضمائرهم وأمام أعينهم وهم يحملون السكاكين اللامعة في ظلمة الليل والرشاشات والأقنعة واللحى الطويلة .. الظلام كان ظلامه الداخلي هو الذي هيمن على المكان، إذن أهلاً بكم في بلاد الوحوش الكاسرة وإحذروا من شركهم المنصوبة وسيطراتهم الوهمية، لقد بدأت تلك الشراك تدخل في البيوت والأسرة وتحيط بالأطفال والنساء، إن وحشنا الذي كان بالأمس بين مدننا كان يعرفنا جيداً وكنا نعرفه بكل تفاصيله لذلك فهو لا يرحم النساء أو الاطفال ولا الشيوخ، كلهم يدخلون

في عتمته وسراديبه دون تردد ثم يقفلها عليهم بتشف ويسمع بكاء الأطفال صباحاً كما لو كان يستمع إلى أنشودة الصباح وعويل النساء التي تتم إزاله عفتهم مع كل وجبة وهو يطرب لسماع تلك الصرخات المفزوعة حتى انه يصيخ السمع لها جيداً، إنه الوحش الذي أظلم بغلالته على سماء بغداد، كل الذين نجوا من برائته يصفوناً مختلفة ومتقاطعة فهو أحياناً يشبه الذئب في ترقبها وهجومها على طرائدها وآخرون يقولون أنه كائن مصنوع في مختبرات خاصة في أمريكا وأنهم صنعوه في حروبهم الباردة مع روسيا، لذلك فهو لا يخاف من رصاص المقاتلين كما يدعي البعض ثمة الكثير من الضحايا من نساء أو أطفال وشيوخ أنهم ضحايا الوحش الذي قذفته طائرات حربية من سائنا إلى أرضنا، ثم اختبأ في كهوف الجبال وتحت رمال الصحاري.. إذن إن لم يكن هذا الوحش ذئباً فما هو؟ ومن يكون؟

- إنه الشيطان

يقول أحد الصيادين إنه في إحدى المرات كان على مرمى نار بندقيته، لقد أصبته ورأيته ينهار على الارض، ثم ما لبث أن قام مجدداً، ثم فقدنا أثره في الجبال والوديان والصحاري المجهولة .. قالوا انه يحمل اعلماً سوداً تشبه الغربان، وله عمامة سوداء .. صار الناس

يتحدثون عنه كثيراً، بل وأخذ البعض يكتب عنه وهناك من يؤلف عنه الاغاني والأناشيد الحماسية كنوع من الخلاص وهناك من أطلقوا السنتهم بالأدعية، والآن ثمة من يسأل ما إذا كان الوحش مظهراً من مظاهر الشيطان أو ربما هو من علامات الساعة..! أم أنه وهم كبير شغل الناس فترة طويلة من الزمن، اذن هل تعتقد ان الوحش غير موجود وان بعض سكان هذه المدينة اختلقوه كالعجل الذي عبده قوم موسى في غيابه، والمغزى من كل ذلك هو أن أحدا لم يرَ التين ولا وحيد القرن إلا في الكتب والقصص الاسطورية وحكايات الجدات في ليالي البرد القاسية:

- صحيح.. تبدو الاكاذيب كالحقائق احياناً حين نزوقها بكلمات منمقة..

وحين هممنا بمطاردة الوحش في السهول والغابات والوديان والكهوف، نسينا ان الوحش هو الذي كان يطاردنا في الازقة والشوارع والساحات والبيوت والأسرة وخزانات الملابس، انه يتوغل فينا في سررنا ودفئنا العائلي في حواضن خاصة لا يصل اليه احد، كنت أقول كلما مررت على مكان فيه أثر ما اصرخ، مات اناس كثيرون هنا، هنا مات استاذ (علي) والشاعر (رعد) والكاتب الشاب (أحمد) والعامل

والفلاح والطالب ووو ..

- ما يدريك بذلك ..؟

- كنت أسمع صرخاتهم ..

ظل الناس لسنوات يبحثون عنه في البرد والحر اللاهب وهم

يستمعون لمقولات وأحاديث:

- سوف آتي اليكم .. سوف ألتهم أولادكم وأبقر بطونكم

وألتهم قطعانكم وستتحول طرقكم الى صحاري وستكون مدنكم

خاوية خالية تلعب بها الريح .. ثمة شمعة لكل ضحية على الارصفة

وبقعة دم طاهرة لا تحف وكأنها تصرخ الى السماء

- هل تعتقد اننا فعلا نعيش في زمن يخلو من المنطق؟

الوحش الآن يتمتع بعقل شيطاني يمكنه في كل وقت الاختفاء

ساعة يشاء !

- ان هواء الليل يجعلني أرى الاوهام متجددة أمام عيني

- لكنني أشعر به يهرب مني في كل مرة

- وهل تعتقد ان الوحش سيستسلم ما ان تقع نظرتك عليه؟

- لعلك انت من تخيفه

- وهل بإمكانني أن أخيف وحشاً كاسراً؟

- الغنائم الصعبة يكون طعمها لذيذاً دائماً
ثم فجأة وبطريقه قدرية غامضة تتحطم أسطورة الوحش بحيث
صار الكثير من الناس يرونه على شكل حيوان نافق في الساحات
العامة وهناك من شاهده بعين البصيرة يموت في العقول والأفتدة، ثم
اكتشفنا في ما بعد ان الوحش ليس الا ارادة مصنوعة في غرف مقفلة
انه سلاح موجه في يد عقل شيطاني مدبر ومريض، هذا العقل المريض
هو الذي يحرك الوحش ويريد ان يسمع ردود افعال الضحايا والناس
المطاردين في المدن الخائفة، يريد ان يحدث ضجة وان يزرع الخوف في
القلوب، ثمة كتاب يتحدث عن الوحش، لقد بيع هذا الكتاب في
جميع انحاء البلاد ويذكر فيه قصة الوحش الذي جاء لمعاقة الملك
لأنه كان شديد التسامح مع الفلاسفة، قال الصياد بعد ذلك :

- لكن هذا الوحش موجود واريد ان اراه

قال الراعي وهو يتلفت مخاطباً الصياد :

- واين ذهب صاحبك ..؟

تقصدا الايزيدي العجوز ..؟

- نعم

- لقد ذهب ليبحث عن رأسه المقطوع قرب بحيرة (لالش)،

ذهب يسأل الاشجار لأنها هي أيضاً تتكلم لكن الناس لا يعرفون لغتها ولا يجيدون الاصغاء أو الابصار

- نعم هذا صحيح فقد زعم بعض الهنود انهم يستطيعون أن يروا ما لا يمكن ابصاره

- الوحش في الغابة والذئب حولنا !!..

- سيأتي الوحش في الصباح الباكر.. عليك ان تصلي صلاتك

الأخيرة

- نعم سأقيم الصلاة وأطلب من الله القوة لأذكي ناري التي

ستحرق الوحش في النهاية

في تلك الليلة استحضر الايزيدي العجوز أرواح جبل سنجار

بلغت لم يفهمها احد فجاءت الذئب وهي تدعو الوحش للمثول أمام

ارواح الجبل السحري الغاضب

- هل هذه رائحتك ..؟

هكذا سأل الراعي صديقة الصياد، فأجاب:

- نعم أظنها رائحتي

- لقد شمّ الوحش الخوف الكامن في الرائحة

- نعم في عروقنا تجري الدماء نفسها، لكنها ستلفظ الخوف عند

المواجهة عندما يبلغ الرعب ذروته سيتمكن من مواجهة السلطة.. والسلطة ان لم تتمكن من ايقاف وحش واحد فتخيّلوا ماذا ستفعل لو ظهرت وحوش اخرى في جميع انحاء البلاد..؟ والآن العالم الذي اوجد هذا الوحش يوشك على الانتهاء. وعليّ أن أسرع لأن قصتي هي الأخرى شارفت على النهاية.. أرى الآن المخبأ السري الذي كان فيه الوحش يلفظ أنفاسه الأخيرة.. لأننا تحررنا من الدماء التي تحمل الخوف.. حيث خرجنا إلى الشوارع وأشعلنا الفوانيس والمصابيح التي أضاءت جنبات العالم المظلم.....

نهر الدم

حين نزل من على صهوة جواده في صحراء محترقة، وجد نهراً منسياً لا أحد يعرف له طريقاً، مدَّ كفه ليشرب فلم يجد رأسه بين كتفيه وأراد أن يمسك اللجام ويصعد على الصهوة فلم يجد الجواد، عندئذ اتجه الى الجند الذين كانوا معه في الرمضاء لكنه لم يجد أحداً، كان الفارس وحيداً حد العظم في صحراء لامتناهية في وسط بحر من الرمل والسفوف والوديان بين جوع وعطش ووحدة قارسة، ظل الفارس مقطوع الرأس يجوب السهول والفيافي باحثاً عن رأسه المفقود، يدخل مدينة ويخرج من أخرى حتى وصل الى بلدة تُقام فيها الاعياد والاحتفالات، تضرب الطبول والصنوج والمارشات فيما توسط فرسانها ساحة مليئة بالخلق المبتهجين يتأملون الرماح بيد الفرسان وهي تحمل رؤوساً لأطفال ونساء وشيوخ تنزف دماً عبيطاً، تحير الفارس بأمر هؤلاء المحتفلين واقترب من الفرسان باحثاً بين الرؤوس المعلقة عن رأسه، لكنه لم يجد شيئاً، وبدلاً من ذلك سمع

صوتاً آتياً من قبة السماء (السلام عليكم يا اهل الغربة.. لقد اتت
الفتن كقطع الليل المظلم يتبع اولها آخرها).. وما هي الا لحظات
حتى وقف أمامه صبي بهيّ الطلعة، أشار الصبي الى جهة بعيدة،
وهناك وجد الفارس جواده وامتطاه واقتحم سماءات وغماماً وأفلاكاً
وشهباً، ثم سمع صوتاً ونفيراً عالياً كأنه صوت الصور، ثم حدث
شيء غريب حيث انتفض الجواد والقي بالفارس في أرض محترقة
محاطة بأصوات غليظة وانفجارات تتكاثر حوله باستمرار، صار
الفارس يتقدم حذراً بين دخان أسود يُعمي العيون وأصوات مرعبة
تصمم الأذان وأزيز لقطع حديدية طائرة في السماء تحصد الأجساد
وتحيلها الى أشلاء متناثرة تتساقط في حفر تمتد كجسد الافعى مليئة
بقطع قماش محترق وأحذية ثقيلة معفرة بالطين والدم، دخل الفارس
في إحدى هذه الحفر فسمع أصواتاً متداخلة ومتقاطعة تستنجد
بالسما والملائكة

- يا إلهي سنموت

- ستكون هذه الحفرة مثوانا الأخير

- يارب نجنا من هذا الجحيم

رأى بأم عينيه رجالا بلحى غريبة ينحرون أطفالاً ونساء

ويخبثون رؤوسهم خشية القصف المهلك، كانت الطائرات تلقي بحمولتها النارية على رؤوس الجميع بلا رحمة، فجأة وجد جواده أمامه، أمتطاه مسرعاً وغادر هذه الأرض المحترقة متجهاً الى افق مفتوح، شعر بعطش شديد، وكما لو أن الجواد علم بما يشعر به فارسه فاتجه الى نهر تحده أرض صخرية حمراء، ثم وجد نفسه وسط المياه الباردة، لكن لون الماء تحول الى أحمر كلون الدم أحس بأجساد مختنقة تتحرك تحته، وثمة صوت لإطلاقات نارية على الجرف الصخري وصيحات استغاثة قريبة منه، شعر بقطرات مطر ساخن تغسل جسده وتغرق الكائنات في بحر من الظلمات المرعبة مد يديه الى تحت ليلمس اجساداً طرية العود لشباب وفتيان مثقوبي الرؤوس بفعل الرصاص الغادر، وهناك الكثير منهم يحاول ان يمسك بموجة تعلوه ربما تنقله الى بر الأمان، سبح الفارس جارفاً معه أجساداً كثيرة كانت تعانقه وهي تنام نومتها الأخيرة بين ذراعيه، قال في نفسه: المأساة مستمرة وستستمر في زمن الفتن هذا، رأى ثمة فتيانا يسبحون هاربين من هول الرصاص المطارد لأجسادهم المهشمة، كانوا يعانون من جروح بسيطة لأن الرصاص أخطأ رؤوسهم، فتح لهم مسارب للهرب وقادهم الى جروف بعيدة عن مكمن الخطر، سمع احدهم

يصرخ منادياً على زميله، انه فخر، أهرب من سبايكر يا أخي، حينذاك ربط الفارس الجريح بين طف قديم حدث في صحراء بلا ماء وبين نهر أحمر ملعون يسمى (سبايكر)، بلا صحراء ولا رمال ..

وصل إلى الشاطئ ومعه ثلة من الشباب الهارين ركب على صهوة جواده، أمسك جمع من الشباب بأذياله وقوائم الجواد، ثم دبت الحياة ثانية في الطبيعة والكائنات والعصافير التي نامت على أغصان الأشجار، وعاد الخلق من جديد مع أول بكاء لطفل وأول خيط لفجر يخترق الظلمة المترامية وحين نزل من على صهوة جواده قرب نهر منسي وبعيد عن عيون البشر مدَّ كفه ليشرب فلم يجد رأسه بين كتفيه وأراد ان يمسك اللجام ويصعد فلم يجد الجواد وحينها إتجه إلى أهله وصحبه لم يجد أحدا منهم وهكذا بقي الفارس وحيدا يبحث في صحراء مترامية الأطراف عن أهل وأصحاب فقدهم ذات طفّ بعيد في الرمضاء

يوميات انسان حزين

ما فائدة الكلمات، ما فائدة الكتب والأقلام والمحابر ونحن نبصر فجاجع لا نستطيع ازاءها حيلة، ولا يمكننا أن نغيّر من الامر شيئاً، الباب مغلق والسماء ملبدة بالدموع والغرفة غارقة بالدخان فما فائدة صراخك وقد رحل الجميع؟ حتى الوجوه مكفهرة وغاضبة، أجهزة التلفاز ناحبة وباكية، وصوت نباح كلاب متوحدة في الشوارع ربما هي الأخرى حزينة، هذا اليوم صار الحزن آخر حصوننا التي نعتصم بها من وهم السعادة والضحكات الجوفاء، هذه الليلة لا أريد شيئاً غير ورقة وقلم ودمعة لأكتب بها حروف الفجيعة، وحيداً في البيت، أعتصم منعزلاً عن العائلة، انتظر هبوط وحي الكلمات وعويل الاطفال، أسمع ضجيجاً عالية، صراخاً وتأوهات .. (يا الهي ما الذي يحدث؟) انها الليلة التي تلت المذبحة، مازالت الاجساد طرية بدمها الساخن الذي ملأ رمال الصحراء، أجساد بلا رؤوس، الرؤوس عُلقَت على الرماح الذاهبة الى الشام مع جمع السبايا والايتام، دموعي

التي ذرفتھا في الظلام سقطت على الورقة البيضاء لتبلل صلادة
وقسوة الرمل والصحراء. حفيدي (حسن) مازال يبكي طيلة الليلة
الفائتة لا ادري هل كان يعلم بما حدث للرضيع، أسمع حسيس نار
المدفأة مختلطا بجهشات وحشرجات انفاس متقطعة، هل هي انفاسي
المضطربة؟ أسمع ديبب النملة على يدي، كل هذا ولا أسمع عويل
السبايا الذي شق عباب السماء، ثمة الكثير من السبايا صارت ترى
على ارضنا ابتداء من طفّ كربلاء الى مذبحه سنجار والمقابر الجماعية
للايزيديين، القاتل هو ذات القاتل والعويل هو العويل ذاته ألقد
امتدت غمامات الظلم على طول التاريخ العراقي، هاتفني صديقي
ابوزينب قائلاً:

- علينا أن نذهب الى مجلس عزاء أقرباء لنا، مات ابنهم في
الأنفجار الاخير ليلة العاشر من محرم..

ذهبنا الى مجلس الفاتحة القريب من ساحة التشاييه المقامة هناك
وقد حضر الألاف من النساء والرجال والأطفال بلا خوف أو تردد
من اي انفجار أو سيطرة وهمية للدواعش الأنجاس .. حين رأيت
التشاييه في الساحة الترابية تذكرت صباي فقد كنت ضمن جيش الحر
الرياحي، تذكرت اخوتي الذين صاروا طعماً للمقابر الجماعية التي

هندسها مخرب العراق والامة الإسلامية المقبور صدام، صارت الايام تتوالى وهي تكُنس معها كل الأحداث بآلامها وضياع الاعمار القصيرة للناس الفانين اولئك الذين ما زالوا يبحثون عن فسحة يعتقدون من خلالها ان الحياة مازالت تستحق أن تُعاش، ثمة انفجارات لمفخحات هنا وهناك، هذه المرة عمد الارهابيون الى استغلال المجانين حيث قاموا باستدراجهم ثم يعبئونهم بالمتفجرات ويزجون بهم في الاسواق الشعبية في اوقات الذروة والزحام الشديد، كما حدث يوم الجمعة الماضي حين فجروا سوق الغزل في شارع الخلفاء، وبغداد الجديدة مما تسبب في اسقاط اكثر من تسعين شهيدا ونحن في هذا الخضم المتفجر نحاول جاهدين أن نلتفت الى أرواحنا وأجسادنا لنقتنص بعض الهنئات بشيء من التأمل في الاشياء الجميلة أو ما تبقى من هذه الاشياء الجميلة في كل شيء ابتداء من الحجر وانتهاء بالبشر وهذا الذي يحدث عندي على الأقل، فانا الاخر ابحت كالظمأن عن شاطئ للأمان والهدوء والتأمل، ثمة بدائل في أغلب الاشياء التي تحيطنا فما أن نفقد واحداً من مسرّاتنا القديمة حتى يتهيأ لنا اننا وجدنا بديلاً ما يعوضنا عن تلك الخسارات. مضى العاشر من المحرم لكن عاشوراءنا نحن مازال مستمرًا ومستعرا ويغلي كالمرجل، كل يوم

شهداء في الساحات والاسواق، كل يوم نجد جثة بلا رأس هنا أو هناك كل يوم تختفي وجوه بعض الاحبة الذين تعودنا على ابتساماتهم وكلماتهم، وسيأتي يوم الاربعين وهو يوم متفجر بذكرياته المريرة قديماً وحديثاً الممتلىء بالوقائع النارية المعاشة كل شيء يمسك بك ويوقفك في ساعتك ولا يسمح لك بأية حركة سوى بالترقب والخوف وتوقع موت العشرات الآخرين الذين يسرون والمنايا تحيط بهم، وفي الحقيقة كلنا سائرون الى الحتوف ذاتها نمشي مع خبيب فرس الحسين والمنايا تحيط بنا، الدماء التي قذفها الامام الى السماء هي دماؤنا، دماؤنا التي لم تعد الى الارض، فقد تلاقتها الملائكة الحزينة لتمسح بها وجوهها النورانية.

المكتبة

ظَلَّ الأستاذ محمد الموصلِي مُتَوَجِّساً خيفةً من أنْ يَدْخُلوا عليه بغتَةً في مملكته هذه، انها المكتبة الأكبر في المدينة، وها هم بكل وحشية يَدْخُلون المدينة ويَحْرِقون الأخضر واليابس ويقتلون الرجال ويأخذون النساء أسيرات وجواري وزوجات لهم، ماذا يفعل الآن؟ هل يظلُّ مائتاً هنا بين رفوف الكتب الآمنة، الكتب التي ألهمته الكثير من الأفكار ومنحته الراحة والطمأنينة وفتحت له الأبواب والنوافذ ليسافر إلى بلاد الله الواسعة وإلى السموات والأرضين البعيدة (هي مملكتي وراحتي الأبدية ولا بد أن أحميها ولو بروحي).. سمع فجأة وقع أقدام سريعة تُحيطُ ببنية المكتبة وصوت الرشاشات وهي تتجهَّز للاطلاق، ماذا يحدث؟! هل وصلوا إلى هنا؟ ربما هم يحيطون بي من كل جانب ومكان، حين ذاك فَتَحَ الباب عنوةً بكعوب البنادق ودخل مجموعة من اللحي التي تعلو أجساداً سوداء، ثمة صوت جاءه من عمق هؤلاء المُقْتَحِمِينَ:

- ماذا تفعل هنا أيها الأستاذ الجهد؟

- هذا مكان عملي .. مَنْ أنتم؟

- نحن

ثم انطلقت أصوات ضحكات عالية أقلت المكان وأربكت حركة الهواء بين الرفوف الآمنة ..

- نحن أسياد المدينة وحكامها، نحن المنقذون من الضلال أيها

الجهد

- إذا كنتم تنون فعل شيء فاقتلوني بسرعة رجاءً ولا تمسوا

كتاباً واحداً- وَمَنْ قال أننا نريد بك شراً؟ نحن نحترم العلم والعلماء
ونُقَدِّس الكتب ..

ثم استدرك كبيرهم:

- الأ هذه الكتب ..

- ما بها هذه الكتب؟

- هذه كتب ضلالة وشرك وانحراف

- من قال لك ذلك؟

- نتحدث معي وكأنني جاهل لا أفقه من الأمر شيئاً ..

اعتدل الأستاذ محمد في جلسته التي ستطول هذه الليلة وهو

محاط بمجموعة من القتلة الشرهين لسفك الدماء

- هل نفعتك هذه الكتب شيئاً؟ هل عمّقت إيمانك؟ هل أعادتك إلى جادة الصواب والحق؟ قل لي بربك ماذا نفعتك هذه الكتب السوداء المنحرفة..؟

نظر الأستاذ محمد إلى سحنات وجه المتكلم وهو ينفث الزبد من شذقيه وينظر له بعينين صقريتين، ثمة هدوء مباغت نزل على الأستاذ محمد وهو يواجه هذا الكم الهائل من الجهل الذي أحاط به - هذه الكتب أبواب جنة الله على الأرض، هذه الكتب مسك وزعفران وعنبر، هذه الكتب هي التي فتحت لنا أبواب السماء ورسمت جنائنها على الأرض، ماذا تعرفون أنتم عن هذه الكتب؟ .. ضحك قائدهم ضحكته المسعورة حين حار جواباً وهو يتفحص وجه الأستاذ الهادئ المتزن

- أسمع أيها الجهبذ، أعرف أنّ هذه الكتب هي ألد أعداء الإنسان وقد استعمرت رأسك واحتلت جوارحك بدل الله والإيمان به..

ثم أمر مجموعة المهتاجة الشرسة فحطموا بسرعة البرق بكعوب بنادقهم رفوف الكتب، تدحرجت الكتب وتبعثرت على الأرض

وملأت كل شيء وصار الأستاذ محمد يلمح العناوين الفزعة للكتب وهي بين قديمة كما لو أنها تستغيث به ..

- أيها الحقير الغبي لقد كذبت عليك هذه الكتب المنحرفة لأنها مملوءة بالأكاذيب والأساطير والخرافات حاول الأستاذ أن يرد عليه لكنه أكمل بصوت عال هز أرجاء المكان:

- هؤلاء الذين كتبوها ما هم الا مشعوذون يتدعون كل شيء ويحاولون أن يعطوك بديلاً عن الله ورحمته في السماء، إنهم أرضييون فَسَقَة فَجْرَة ..

قاطعها الأستاذ بنفس نبرة صوته

- والأرض ألا يمكننا أن نُعَمِّرَها ونبنِها ونجعل منها فراديس أرضية للناس، كما أمر الله عباده في القرآن وكما أمر الرسول في سنته الشريفة؟.

- أنت تُهرطق وتجدِّف أيها الكافر، تباً لك ولعلمك وكتبك الملعونة، هذه ليست مكتبة إنها مزبلة مليئة بالسوموم واللعنات ..

ظل الأستاذ محمد ساكتاً لا ينطق أمام هذا الجبروت المتعجرف والعصبية الجوفاء والجهل المطبق، ماذا يفعل !! صار يقضم أحشاءه ويتفتت كيانه، لكنه ظل مُتصالِباً يقاوم الأنهار الوشيك بكل ما أوتي

من قوة وتحمل كي لا ينهار أمامهم ويصبح هزءة ومسخرة بين عيونهم .. هو لا يريد أن يتوسل بهم ويترجاهم أن يتركوا مكتبته بسلام وأن يقتلوه إن تطلب الأمر .. سمع صوت قائدهم يسأله بسخرية مريرة:

- لماذا لا تقول شيئاً أيها الجهيد؟ هل بلعت لسانك؟! ماذا

حدث لك وأين علمك ومعرفتك وجملك الرئانة؟ ..

فجأة التفت إلى مجموعته قائلاً وكأنه يحسم الأمر:

- أسمعوا .. أنا أكره هذه الكتب لا وقت لدينا لتصفُّحها

ولمعرفة ما إذا كانت مفيدة، هي أصلاً بلاء ولعنة وانحراف، أحرقوها

بسرعة ..

ركض أحد أفراد المجموعة وجاء بوعائين من البنزين وصار

يرش على رفوف الكتب التي ارتجفت من عطونة البنزين ورائحة

النَّيات الشريرة للإنسان حين يُقبل على اجتراح مجزرة ما، أخذ الرجل

يرش البنزين على المقاعد والستائر وجميع موجودات المكان، وحين

ضغط على القداحة اندلعت النيران بسرعة عجيبة لتلتهم كل شيء، مدَّ

القائد يده للأستاذ ليسحبه كأسير معه، لكن الأستاذ أبى إلا أن يظلَّ

مع كتبه في عمق الهوة الملتهبة للنار .. هرب الجميع من امتداد ألسنة

النيران التي صارت تزحف كالأفاعي وهي تلحق بخطواتهم المرتبكة

بينما بقي الأستاذ محمد الموصللي واقفاً كالطود الشامخ في سفينته الآيلة
إلى غرق مقيم وسط النيران اللاهبة

الشبح

ما انْ يَحُلُّ المساء ويتوقف إطلاق النار وَيَجْعُ القناصة إلى مأواهم ويتوقف القصف المدفعي يبدأ عملي، عليّ أنْ أخرج من بين جثث القتلى التي تملأ الأرض العارية بيننا وبين مخابئ داعش، وحين يبدأ زحفهم السري لاختلاء قتلاهم أكون أنا لهم بالمرصاد أحملاً سكينتي الكبيرة منتظراً اقتراب أحدهم في عمق الليل ليصل إلى جثث رفاقه، حينذاك استقبله بطعنة نجلاء في رقبته أو ظهره أو أي مكان تمتد إليه يدي، والأمر بسيط جداً لأنه يظنني ميتاً وهو لا يراني أصلاً لأنني أكون ساعتها منظرًا بين الجثث، حين يتلقى طعنتي النجلاء سيفتح عينيه مُستغرباً وهو يتساءل تساؤله الأخير: من أين ظهرت لي هذه الجثة؟ وكيف عادت إلى الحياة مرة أخرى...؟! ثم يغمض عينيه إلى الأبد بعد أن يتيقن أنني اختفيت أو ربما عدت إلى موتي من جديد !!

وقبل أن يلفظ أنفاسه يُصاب بالذعر حتى أنه لا يصرخ حين

يشعر بالألم الذي لا يطاق من أثر الطعنة العميقة ويحاول أن يصرخ أو يصيح: الله أكبر فأسبقه أنا وأصبح في أذنه الله أكبر على كل متجبرٍ وظالم، ثم يهوي رأسه على الأرض متوسداً التراب وينتهي أمره، حينئذ أخذ سلاحه منتظراً الآخر الذي أسمع صوت جسده وهو يزحف على الأرض والحجارة، كثيراً ما يقولون الحرب لعبة وخدعة وهذا يذكرني بطفولتي وصابي حين كنا نلعب لعبة الاستخفاء وكنتُ أختبئ في أمكنة لا تخطر على بال رفاقي وكثيراً ما كنت أفاجئهم حد الموت بل حتى في البيت حين يطلبني أبي أو أمي لا أظهر بسهولة، أظل مُحْتَبئاً إلى أن يَمْلؤوا من الصباح عليّ والنداء باسمي، ثم يبدأ الجميع بالبحث عني وهم يتوعدونني بالضرب المبرح إن عثروا عليّ، وحين أظهر لهم فجأة من أقرب مكان لهم يتفاجأ الجميع وبدل أن يضربونني يضحكون بصوت عال وهم يُحذرونني من مغبة الاستمرار في هذه الألاعيب، وحين ظهر داعش وبدأ يزحف ويحتل المدن العراقية كنتُ أترقب ذلك وأسمع الأخبار المخيفة القادمة من مدن غرب العراق، وما ان سقطت الموصل حتى جاء النداء الأخير في الفتوى الكفائية القادمة من النجف والتي كانت حبل النجاة لنا جميعاً، وأنا بالطبع لم أصدق ذلك وسرعان ما ذهبتُ إلى أماكن التطوع وتطوّعتُ وكنتُ

من أوائل الذين جندوا أنفسهم في الحرب ضد الغزو الهمجي لداعش، في البداية رأيت الكثير من رفاقي وهم يسقطون في هجومهم، كانوا في البدء لا يعرفون قوانين الحرب ولا الكر والفر بيننا وبين العدو، التدريب كان سريعاً لأننا أردنا أن نسبق الزمن ونسترجع المدن الأسيرة وأهلنا الذين يرزحون تحت نير العبودية والجهل والتخلف والوحشية، ولهذا استرجعت كل حيل الطفولة وما تعلمته من التدريب والتخطيط الميداني الذي تلقّيته بالسرعة الممكنة وقررت أن أمارس عملية الاستخفاء مُحذراً رفاقي من المفاجأة لأنني كما أخبرتهم لدي خططي في مواجهة داعش وعليهم أن ينتبهوا لذلك، مارست شبّحيّتي عليهم كنتُ أظهر لهم كما لو أنني جنيّ ينشق من عمق الظلمة ليخطف أرواحهم، كانوا يعتقدون أنني عزرائيل ملك الموت الذي ظلّ يُباغتهم في يقظتهم ونامهم ولم تنفع معي قنّاصتهم ولا أحزمتهم النَّاسفة لأنهم أصلاً لا يعرفون لي مكان، لقد أصيبوا بالجنون وهم يبحثون عني، قالوا:

هناك أمر غريب يحدث لنا؟ هل يُعقل أنّ هؤلاء الراضية

يُسَخَّرُون الجن في حربهم معنا!!

وكنت حين أسمع ذلك استغرق بالضحك والسخرية منهم،

طبعاً أنا أُطلق لحيّتي وأرتدي الملابس السوداء بعلم رفاقي وقادتي الميدانيين وكانوا ينتظرون مني الأخبار التي تُفرح قلوبهم، إذا سقط أحد رفاقي شهيداً كنت أزحف لأُخلي جثته وإن كانت هناك مهمة صعبة قُرب مواضع العدو كنت أنا مَنْ يتصدّى لها مُتمنياً في قرارة نفسي الشهادة أو النصر على هؤلاء البرابرة الأوباش، لكن الأمر الذي أأحزني كثيراً أنّ صديقي القريب إلى روعي أُصيب إصابات قاتلة وهو في مكان لا يصل إليه أحد، وثمة الكثير من القناصة التي جعلوا من جسد صاحبي فحاً لكل من يقترب منه، انتظرتُ حتى هبوط الظلام وابتدأتُ زحفي، كنتُ أسمع أنينه وهو يصيح باسمي: (حامد يا أخي تعال وخلصني من ألمي)، حين وصلتُ إليه رأيت مشهداً لا يحتمله قلب كانت بطنه مبقورة وأمعاؤه منتشرة حوله وهو يحرك يديه كأنها يتحدث مع شخص قريب منه، ناديته بصوت خافت فسمع صوتي، قال: (توقعتُ أن تصل إليّ، أهلاً بك يا أخي خذني إليك، سلّم جثتي إلى عائلتي لا تتركني هنا في العراء) ..

بدأتُ ألملم أحشاءه وأرجعها في فتحة بطنه وأنا أطمئن أنه سيكون بخير، فيقول لي: (لا أخاف الموت، كنت أريد الشهادة يا أخي لكن بقائي هنا قرب العدو غير صحيح خذني بعيداً عنهم) ..

في هذه الأثناء انهال علينا وابل من الرصاص العشوائي الذي حاول العدو من خلاله أن لا يقترب أحد من صديقي، شعرت بحرارة في فخذي الأيمن وثمة سائل دافئ تسرّب في ملابسي، أيقنت بالاصابة وأنا أزحف جاراً معي جسد صاحبي المتشطي سمعته يقول لي بهمس: (أسمع يا حامد اجعل مني ساتراً ودع جسدي يتلقّى الرصاص بدلاً عنك فأنا في كل الأحوال ميت واخوتنا في الحرب بحاجة إلى وجودك معهم) في هذه الأثناء جاءنا وابل آخر من الرصاص أصاب صديقي ولفظ أنفاسه وهو يُعانقني، ساعتها قررتُ أن أسحب جثته مهماً كلفني الأمر، لقد أوصاني أن أسلمّ جثته إلى عائلته وهذا ما سأفعله بالضبط .. في الصباح الباكر وحين أذن مؤذن صلاة الفجر كنتُ مرمياً قرب مواضع رفاقي وأنا أحتضن جثة صديقي الذي نام بأحضانني منتظراً بزوغ الشمس ليعود إلى عائلته للمرة الأخيرة

القسم الثاني

ليلة الرؤوس المقطوعة

واصلتُ الليلَ بالنهار وأنا أكتبُ وأراقبُ المشهدَ الميداني جيداً،
حذراً أتقلُّ من مكانٍ إلى آخر وأصوِّرُ بجهازي النقال كل الذي
أُصادفُه أمامي من مَشاهد ترمزُ إلى شيءٍ ذي معنى يشرحُ بعض ما
غَمَضَ من قصصي ..

هذه القصة استقيتها كسابقاتها من مدنا التي دخلها داعش
وعاث بأهلها فساداً، لقد اكتشف الناس جميعاً حقيقة هذه العصابات
التي رفعت شعار دفع مظلومية أهل السنة وتحريرهم من حكم الكفرة
الرافضة، وهي مفردات أمست قديمة وبالية في عقلية الأُنسان المتنور
الذي وعى دوره في الحياة، نعم لقد اكتشف الناس الحقيقة وسخروا
من شعاراتهم المزيّفة وحينذاك بدأوا يخطفون الناس ويُعذبون ويُقتلون
بأساليب بشعة أرعبت القلوب، حدث ذلك في (ناحية العلم) عندما
أسروا (١٢٠) رجلاً وقادوهم إلى أماكن مجهولة، هؤلاء المُختطفون
أصحابُ مهنٍ وحِرَفٍ مختلفة يعملون لكسب قوت عوائلهم وليس

لهم شأن في السياسة وتقاطعات الأديان والطوائف، فقد كانوا حين دخلت عصابات داعش مُنشغلين بأعمالهم لم ينهضوا ولم يشاركوا في الترحيب بهم أثناء دخولهم المدينة ولم يُصَفِّقوا لهم ويهتفوا بشعاراتهم الزائفة مما أثار غضب واستياء هذه الجماعات المُجرمة فقرَّرت في ليلة مظلمة اقتحام بيوتهم وخطفهم، وكانوا يُقتلون الأب أمام زوجته وأبنائه ويأخذون الآخرين إلى أماكن لا يعرفُ بها أحد وهناك يُلبسونهم ملابس السُّجناء البرتقالية والتي تعني أنهم محكومون بالاعدام ذبحاً.

وبعد عدة أيام من اختفائهم وصلت للجميع مقاطع فيديو للحفلة الدموية التي أقاموها وهم يقومون بذبح ما يقرب من مئة سجين في سُجونهم السرية، كان السُّجناء المساكين يجلسون على ركبهم وقد مدوا قاماتهم، وكل سجين يقف خلفه مُسلح من داعش يمسك سكيناً طويلة وقد وُضعت شفرتها على الرقبة، الكل ينتظر ساعة الصفر ليقوم بقطع الرأس، السُّجناء يرمقون بعيونهم الدامعة صفحة السماء وهم يُتمتمون بالآيات والأدعية مُتذكِّرين أطفالهم وزوجاتهم مُودِّعين كل شيء عزيز على هذه الأرض، لحظات حاسمة وفاصلة المُسلحون مُتحفزون مُتوثِّبون تشرَّبُ أعناقهم إلى جهة

مجهولة لا يعرفها إلا هم مُتتظرين الأوامر الصاعقة لتقرير مصير هؤلاء السجناء، والسجناء تشرَّب أعناقهم يَرُقُبون رحمة السماء التي قد تهبط عليهم كوابل من المطر الذي يُبلِّل أرواحهم ويمنحهم فسحة للأمل ولو كان ضئيلاً، ثم تأتي الأوامر وتبدأ السكاكين العمل في حزِّ الرقاب يبّطء لتنبثق نوافير الدم أمام العيون الهلعة المرعوبة، لحظات أخرى وإذا بالرؤوس تتساقطُ على الأرض ككرات في ملعب مقفل أمام لاعبين وجمين لا يتحرَّكون كما لو كانوا تماثيل حجرية تَمَسِكُ بأسلحة يَقَطُرُ منها الدم، ركلوا الأجساد مقطوعة الرؤوس وأبعدوها عن ميدان الدم وحملوا الرؤوس على خشب صيقل، كل مُسلَّحٍ يحملُ رأساً فاغراً فاهاً يَنْظُرُ إلى المشهد بعينين هِلَعَتَيْنِ لا تَعْرِفان ما الذي حدث وما هذا الحشد المُتوحِّش وأين الأجساد، عيون تقرأ لغات لا يفهمها البشر، لغات سماء رحيمة باكية على مأساة الأرض المُحترقة، انها عيون الملائكة التي ذرفت دموعها على ظلم الأنسان لأخيه الأنسان، هذه الرؤوس التي صارت تدور بين الجَمع المُتوحِّش الذي صار يَهْتَفُ (الموت للكفرة الموت للرافضة الموت لكل من يَعصي الأوامر ولكل المنحرفين والخنونة) .. نعم هذه الرؤوس أكملتُ مسيرة التاريخ حين حملتُ رؤوس شهداء الطف على أسنَّة

الرماح، هو المشهد ذاته والأسلحة ذاتها وهي مسيرة التاريخ الدموية التي لا ترحم، أخذوا الرؤوس إلى مشايخهم وقادتهم الذين احتلوا بيوتاً فخمة واسعة لها حدائق غناء كبيرة بأسوار حديدية ملوثة، حين وصلوا جاءتهم الأوامر بأن يُعلّقوا الرؤوس على تلك الأسوار الحديدية ويتركوها لتكون عبرة للآخرين ومصيراً لكل من يعصي الأوامر ويتخاذل في قتال الأعداء من الرافضة والمنحرفين، تجمّع الناس عنوة حول تلك الرؤوس وهم يرتجفون رعباً وحتى الأطفال أجبروهم على الحضور والنظر إلى تلك المشاهد البشعة وكان معظم أولئك الأطفال يخفون رؤوسهم تحت عباءات أمهاتهم رعباً من تلك المناظر، تلك الرؤوس التي مازالت تقطر دماً، ساعات ثم انفصت الجموع وعاد الناس مُسرعين إلى بيوتهم، وفي ساعات الصباح الأولى بدأ الناس القريبين من تلك الأسوار الحديدية يشموا روائح حريق ودخان وحين هرعوا ليستطلعوا الأمر شاهدوا تلك الرؤوس المعلقة وهي تحترق، لقد قررت تلك الجماعات المسلحة مع مطلع الصباح حرق الرؤوس ورميها في الطرقات بلا وازع من أخلاق أو ضمير انساني يرافُ بأجزاء جسد الميت، وهكذا عاش الناس أيام رعب وكوابيس حين جاءتهم الأوامر بحرمة الكهرباء والملابس والماء البارد

والثلج واطلاق الشوارب بل وحتى بعض الطعام، انها أيام عصبية مرّت على هذه المدينة وكل المدن التي دنّسها دخول داعش الذي يحملُ الوجه البشع للدين، وهي الفكرة التي أرادوا ايصالها للعالم بأنّ هذا هو الدين الاسلامي الذي انتشر بالسيف وسيبقى يحكمُ بالسيف والعنف والدم، لكن على الجانب الآخر من المشهد هناك رجالٌ مُقاتلون شجعان بدأوا يعدون العُدّة لمواجهة كل هذا التخلف بروح انسانية ارتدّت مسوح الاسلام ورحمة الأديان وتواشجها في وطن أخذ ألوان الطيف الشمسي والفُسيفساء منذ مطلع الحضارات الأولى وحتى يومنا هذا

الذباح

يقولون أنه جاء من الجزائر لفظته الأرض هناك وتبراً منه جميع الخلق بما فيهم عائلته أمه وأبوه واخوته، لم يطقه المجتمع الذي آمن بالعدل والمساواة وحرية العقائد والأديان، وهو لم يرقه كل ذلك لهذا قرّر الهجرة بعيداً عن بلده الذي صار يتأثر بالموضة الغربية والذي تلاق مع أفكار الغرب التي خرّبت عقول أبناء بلده فصارت المرأة الجزائرية تخرج مُتبرّجة وتُمارس حياتها كما لو كانت فرنسية والشباب صاروا يتشبهون بالنساء تركوا الدين وهجروا المساجد والتحموا مع موضات الغرب وصيحاته التحديثية .

رفض قُتبية كل ذلك غاضباً ولما سمع بتنظيم داعش الذي أقام حكومة العدل في العراق والشام، قال هذه هي فرصتي الأخيرة من هناك سأبدأ التغيير سنغيّر من عقائد الناس وإن لم يقتنعوا سنغيّرهم ونجتثهم من الحياة .. المعروف عن هذا الشاب قُتبية أنه كان يهوى تشويه كل شيء يقع في يده، ومنذ نعومة أظفاره كان يقطع رأس الدمية

التي تلعب بها أخته ثم صارَ يمسكُ بالأرانب والقطط وكل الحيوانات الأليفة ليُمارس معها هوايته الشاذة في قطع الرؤوس، والتحوُّل الخطير الذي حدث في حياته أنه اختلفَ مع زميله في المدرسة حين كانا يلعبان بعيداً عن عائلتيهما وفي اليوم الثاني لم يعدْ زميله إلى بيته، بحثَ أهله في كل مكان وأبلغوا الشرطة عن اختفاء ابنهم، عثرت الشرطة بعد أيام على رأس الفتى مُلقى في صندوق القمامة ولم يعثروا على جسده، بعد ذلك حامت الشُّبهات حول قتيبة لكنهم لم يحصلوا على دليل يُدينه ممَّا اضطر عائلته إلى الانتقال إلى مدينة أخرى وصار يذهب إلى مدرسة جديدة، وتكرَّر الأمر حين اختفى أحد الفتيّة ثم عثروا على رأس مقطوع فوق سطح أحد البنايات، صار يقوم بأفعال القتل المُتسلسل الذي يقطع رأس ضحاياه ويُمثِّل بأجسادهم، وبعد بضع سنين أصبح قتيبة مُهيئاً كمقاتل يحمل أفكاراً مُتطرِّفة في العقائد والأحكام الشرعية التي استمدَّها من مشايخ وأئمة مُتطرِّفين يقتربون بأفكارهم من أفكار محمد ابن عبد الوهاب وابن تيمية وبعض الذين رسَّخوا فكرة الموت والقتل في معاقبة العاصين وتاركي الصلاة والمُخطئين في كيفية الوضوء حتى التفتُّه الأحزاب الراديكالية وفرحت به لأنها وجدت فيه ضالَّتها التي كانت تبحث عنها فترة طويلة..

هذا هو مُقاتل اليوم الذي يحمل اسلام الغد الذي سيعيد مجد الخلافة الاسلامية ويُعيد زهوها ورونقها وبهاءها الأول كما هو حال العهد في زمن (الحجاج ومعاوية وزياد ابن أبيه ويزيد بن معاوية)، وكثيرين من الذين شوَّهوا وجه التاريخ بدماء الضحايا واعطوا فكرة ممسوخة عن الاسلام العنصري الدموي الذي أرهبَ الناس والشعوب بقوة السيف وبطش الخلفاء والأمراء. جاء قتيبة إلى العراق بعد أن مرَّ بالشام وانتقل من القاعدة وعصابات القتل والنحر إلى عصابات داعش التي وَضعت له مكانة كبيرة وصار يُعرف من الجميع بأنه (ذبّاح) الرافضة الشيخ القائد قتيبة وفروا له كل ما يحتاج من أسلحة وحرّبات وسكاكين ووضعوا تحت يده شباباً يُخدّمونه في كل ما يُريد وإذا رأته في مكان ما فاعلم أن خلفه سيكون ثمة تلّ من الرؤوس المقطوعة وهو بطبيعة الحال لا يُفرّق بين رجل وامرأة وطفل وشيخ عجوز في العقاب، لأن عقابه واحد لا يتغيّر إنه النحر المُقدّس الذي يسمو به إلى سموات عالية فيشعرُ بالانتشاء والخدر واللذة التي تجعله يطير مُحلّقاً في تلك السموات وهو في حالة سكر وغشاوة حتى أن مشايخه صاروا يَغبطونه على تلك الحالة من الانتشاء والتسامي التي تعصفُ به بعد أن ينتهي من حفلة الدم الصّاخبة في قطع رؤوس

الكفار والمنحرفين ..

دخل صلاح الدين وترك فيها آثاراً من الدماء ثم ذهب إلى أمرلي وبعدها صار في الموصل ناراً على علم، انه العقاب الذي يُنذرون به كل من خالف وتردّد وهرب واختبأ من الناس إنه العقاب المخيف الذي يُناظر المُتلكِّين، أما لو أنه أمسك أحد الرافضة فالويل له لأنه في هذه الحالة سيتفنن في عملية التعذيب التي تنتهي بالنحر، فالرافضي يُنحر من القفا، وصار مثله الأعلى الشمربن ذي الجوشن ذلك القاتل صاحب القلب المُتججّر الذي احتزّ رأس الامام الحسين عليه السلام أنه المثل والقُدوة، في حفلة الدموية الأخيرة كان هو في تكريت مُشغلاً بالنحر لمجموعة من الشباب الذين وقعوا في فخ داعش أمسك بهم قتيبة وربطهم بالحبال وبدأ حفلة الصّاخبة حتى الصباح، في ذلك الوقت كان لواء علي الأكبر يتقدم لتحرير مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين وكان الشهيد حقي اسماعيل في مقدمة الركب المُقاتل هذا القائد الكربلائي الشجاع كان هذا الشهيد قد وضع أولى مهامه في تقدّمه إلى تكريت كيفية القاء القبض على قتيبة حياً وهو أمر في غاية الصعوبة، لقد تفاجأت عصابات داعش بهذا الافتحام الذي أربكهم وجعلهم يضطربون من غير أن يعرفوا كيف يُواجهون قوة جنود الحق

الشجعان الذين حصدوهم كما تُحصَدُ عرانبس الذرة الناضجة، كانت نيرانهم كثيفة خلّفت جُثثاً ملأت الأرض، حين سمع قتيبة أصوات القوة النارية ترك الأسرى وهم مازالوا أحياءً وحاول الهرب لكن الطرق كانت قد قُطعت بالمدرّعات وقوات الحشد الشعبي، لهذا تقدّم الشهيد (حقي) حين لمح (قتيبة) وهو يركض بلا اتجاه مُحَدّد ورمأه (بصلية) أرذنته قتيلاً ثم هبّ أحد المقاتلين حاملاً سكينه ليحتزّ رأسه لكنّ الشهيد حقي رفض ذلك قائلاً:

(هذا ليس من ديننا ولا أخلاقنا) وحين أراد العودة إلى مقرّه عاجله قنّاص داعشي برصاصة في رأسه...

دفتر النار والرماد

عَثَرَ الْمُقَاتِلُونَ الْعِرَاقِيِّونَ عَلَى دَفْتَرٍ احْتَرَقَتْ حِوَاافَهُ فِي بَيْتٍ هَجَرَهُ سَكَانُهُ بَعْدَ أَنْ دَخَلُوا الْمُنْطَقَةَ وَطَهَّرُوهَا مِنْ الْعَصَابَاتِ الْإِرْهَابِيَّةِ (الدَّوَاعِشِ) وَالْمَكَانِ - الْمَوْصِلِ - وَالكَاتِبِ شَخْصٍ مَجْهُولِ الْهُويَّةِ لَمْ يَرُدُّ أَنْ يَضَعَ اسْمَهُ الْحَقِيقِيَّ عَلَى الدَّفْتَرِ مَخَافَةَ أَنْ يَعْتَرِثَ عَلَيْهِ الدَّوَاعِشُ وَيَقْتُلُوهُ مَعَ عَائِلَتِهِ لَذَا ذَيْلٍ كُلِّ قِصَصِهِ وَمَشَاهِدَاتِهِ لَجَرَائِمِ دَاعِشٍ بِحَرْفَيْنِ (ح-م)، وَيَبْدُو أَنَّهُمَا الْإِسْمَانِ الْأَوَّلَانِ لِإِسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ .. وَيَبْدُو أَنَّ كَاتِبَ هَذِهِ السُّطُورِ عَاشَ الْأَمْرَيْنِ فِي الْحَيَاةِ الْمَرْعَبَةِ تَحْتَ نِيرِ احْتِلَالِ دَاعِشٍ لِمَدِينَتِهِ وَمَا كَانَ يَرَى مِنْ فِظَائِعِ وَجَرَائِمِ يَنْدَى لَهَا جَبِينِ الْإِنْسَانِيَّةِ .. وَضَعِ الْكَاتِبُ عِنْوَانًا لِهَذَا الدَّفْتَرِ (دَفْتَرِ النَّارِ وَالرَّمَادِ) وَخَاصًّا فِي كِتَابَاتِهِ غَمَارَ الْمَأْسَاةِ الْكَبْرَى الَّتِي مَرَّ بِهَا الشَّعْبُ الْعِرَاقِي وَهُوَ يُوَاجِهُ الْمَوْتَ عَلَى يَدِ هَذِهِ الْعَصَابَاتِ الْوَحْشِيَّةِ وَهِيَ تُمَارِسُ الْقَتْلَ وَالتَّعْذِيبَ بِأَبْشَعِ الطَّرِيقِ عَلَى كُلِّ مَنْ يُخَالِفُ أَوْ أَمْرَهَا أَوْ مِنْ اِكْتِشْفَاوِ أَنَّهُ عَلَى دِيَانَةِ أُخْرَى غَيْرِ الدِّيَانَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الدَّاعِشِيَّةِ ..

لقد كَتَبَ عبر قلمه الحِذْرَ -سياحةً ميدانية- ودخلَ في كل
الأماكن التي دخلها داعش واحتلها وعاث بها فساداً، كَتَبَ الوقائع
مُغيِّراً اسم الشخصيات بأسماء أُخرى مستعارة لكنّه أَبْقَى على الأسماء
الحقيقية للمدن التي عانت ويّلات الحرب والاحتلال .. لم يَعثر أحد
على كاتب هذه القصص، بعد ذلك صَدَرَت الأوامر من القيادات
العسكرية العراقية أن تُطَبَّعَ هذه القصص وتُشر في جميع الوحدات
العسكرية من جيش وشرطة وحشد شعبي، وفي الأماكن والمدن التي
مرّت بها سنابك خيل داعش البربري العدواني الذي أثبت بالدليل
القاطع أنه ليس من جنس البشر بل وليس من جنس الحيوان أيضاً
لأن الحيوانات لديها عاطفة ورأفة فيما بينها، انه من جنس آخر غريب
على البشرية، لكن بقوة الله ومقاتلينا الأبطال انتهت هذه الاسطورة
(الاكذوبة) المصنوعة في مختبرات الغرب لتهديم البُنَى التحتية في
بعض البلدان العربية لأغراض ليست خافية على كل ذي لُب

شعارات سود

كان اليومُ بارداً برودةً صقيعية، والسماء مكفهرة تميل بغيومها السوداء إلى غيوم غاضبة ماطرة ستُغرق الأرض ومن عليها، إنها صحراء رمادية وكأن لا نهاية لها كالبحر الذي يبتلع كل شيء .. المدينة نائمةٌ بتوجُّس وخوف ثمة ما يحدث في الأفق وكل التوقُّعات محتملة، ثم فجأةً ظهرت طلائع سوداء لأعلام تُرفرف كأجنحة الخفافيش، كانت الشعارات تحملُ فكرة أن هؤلاء القادمين هم المُخلِّصون لكم من ربة حُكم الرافضة المشركين، نحن اخوانكم تعاونوا معنا للخلاص منهم، سنُقيم دولة الخلافة الاسلامية ابتداءً من العراق والشام ثم ستَسعُ وتكبر بعون الله ثم ترتفعُ عبارات (الله أكبر) في عنان السماء المكفهرة سترتفع المظلومية من جميع مناطق الغربية، نحن اخوانكم الثُّور آلينا على أنفسنا أن نقوم بحمايتكم من هؤلاء الكفرة، لكنّ المجاهد حسين علي الجبوري شكك بكل ما رأى وسمع لأنه كان يعرف بنات وأفكار ومخططات هؤلاء العصابات العابرة

للحدود والقادمين من شتى أصقاع الأرض، قال لعائلته واخوته:
 - أسمعوا لأبْد أن نفج بوجه هؤلاء القتلة لكن سرعان ما
 تبين هشاشة موقف هذا التنظيم، سقطت الأقنعة التي كان يختبئ
 خلفها وانكشفت ملامح وجوههم الحقيقية البشعة، كانوا بشعورٍ
 طويلة وظفائر تهتزُّ مع الريح، عيونهم تلمعُ في الظلام كعيون القطط
 الوحشية والحيوانات الكاسرة، كل يوم يهجمون على بيت من
 البيوتات الآمنة يقتلون الرجال ويأخذون النساء إلى أماكن مجهولة
 وينهبون محتويات البيوت من أموال وذهب وحاجات ثمينة، كان
 المجاهد حسين الجبوري يتهاياً للمواجهة بعد أن أبلغ إخوته وأبناء
 عمومته بضرورة مواجهتهم بكل ما يملكون من أسلحة، انه تنظيم
 دموي مجرم لا يخاف من الله في حرمان الناس ودمائهم وأعراضهم
 وما يملكون، يقول هذا المجاهد البطل:

- كانوا يقتلون الابن أمام أنظار أبيه ويستحيون النساء ويعتدون
 عليهنَّ ويسلبون أملاكنا ولكن إرادة الله وبفضل وجود السيد علي
 السيستاني دام ظلُّه الوارف هي التي قصمت ظهرَ هذا التنظيم الملعون
 ومن يقف خلفه من قوى عالمية، هذه القوى التي صنعتُهُ وزودته بكل
 ما يحتاج حتى يدخل مُدنا الآمنة ويهدم كل البناء الذي بنيناه بالدماء

والعرق والجهود الجبارة لأبناء هذا البلد المبارك ..

ذات يوم سمعنا أصواتاً بمكبرات الصوت تدعونا إلى الحضور والتّجمع أمام الجامع الكبير، هرعَ الناس والخوف يسوقهم سوقاً إلى مكان التّجمع، خرج المجاهد حسين الجبوري مع عائلته ليستطلع الأمر وليكتشف ماذا يحدث في الجامع، حين وصلوا شاهدوا مجموعة من المسلحين الداعشين يمسكون بصبيّ مقيّد بالسلاسل الحديدية ولما اكتمل جمّع الناس جاءهم الصوت الذي يصمُّ الآذان:

(إنّ هذا الصبي الملعون المرتد هو وعائلته المنحرفة أبدت رفضها لوجودنا هنا لحمايتكم، وبينما كان مقاتلونا يقومون بواجبهم في حراسة المدينة ظهر لهم هذا الفتى الملعون وصار يرميهم بالحجارة والزجاجات الحارقة المليئة بالبنزين مما تسببت في احتراق أطراف أحد المجاهدين الأبطال، وعليه فقد قرّرت المحكمة الشرعية الاسلامية بمُعاينة هذا المجرم بالقتل ورميه من أعلى شُرْفَة سطح ليموت ميتته الحقّة وليأخذ جزاءه في الدنيا وله في الآخرة عذاب جهنم وبئس المصير) .. تفاجأ الناس المتجمّعون وكتّموا غضبهم ودموعهم وهم يراقبون الفتى المذهول بسبب هذه الأحكام الجائرة التي لا تمتُّ إلى الإسلام والإنسانية بصلّة، ثم اقتادوه بسرعةٍ إلى فوق عبر سُلّم حجري طويل،

بعد ذلك أصعدوه على أعلى الجدار وكانت عيون الناس ورقابهم التي ارتفعت مع الرؤوس وهي تُراقب الفتى المسكين ..

تقول ابنة المجاهد حسين الجبوري وهي تُقسم بأغلظ الأيمان الذي شاهدهتُ بأن الفتى وقفَ على حافة الجدار ثم تساقطت قيوده الحديدية وأفردَ يديه ومدَّهما على الجانبين كمن يريدُ أن يطيرَ في السماء، وحين امتدَّت له الأيدي الأثمة لتدفعه من فوق طارَ الفتى مُحلِّقاً فوق رؤوسنا جميعاً قبل أن يسقطَ على الأرض بطريقة بطيئة كما يحدثُ في الأفلام في الحركة البطيئة التي يتحرك بها الأشخاص، رأيتُه يسقطُ قُربِي وكنْتُ أبكي بحرقة عليه، فجأة فَتَحَتْ عيناهُ ورمقني بنظرةٍ وادعةٍ ساكنة هَدَّأتني كثيراً وبَثَّتْ في داخلي السلام والطمأنينة، ثم فجأة تنبَّهُ البنت وأبوها والجمْع الذي تحلَّق حول البيت وهم يرون الفتى يسقط سقطته الأخيرة على الأرض، كان الجميع مؤمناً بأنهم لم يروا دماءً تخرُج من رأسه ولا من جسده، بل وأقسم آخرون أنهم رأوا طيراً أبيض يطير فوق الرؤوس محتطفاً الفتى فوق جناحيه، ارتبكَ جمْعُ المسلَّحين حين بدأوا يسمعون همهمات وكلمات تُعبِّر عن الاحتجاج والغضب من الناس، صاح مُكبِّر الصوت على الإخوة المؤمنين العودة إلى مساكنهم بعد أن أخذَ هذا الفتى المنحرف جزاء

العاذل .. أثناء عودتنا إلى البيت يقول المجاهد حسين الجبوري: التفتُّ
إلى إبنتي الصغيرة ورأيتها تُكفكفُ دموعَها وحين رأنتي أفسمتُ أنها
رأت الفتى المسكين وهو يطيرُ مُحلّقاً عالياً في سماءات لا يصل إليها
أحد من هؤلاء القتلة قلتُ لها: نعم يا بنتي فقد ذهب إلى رب العالمين
الرحمن الرحيم، ادع له بالرحمة والمغفرة قالت البنت: لا يا أبتى هو من
سيدعو لنا بالرحمة والمغفرة، فنحن مُتخاذلون وضعفاء ولا نقوى على
مُجابهة هذه العصابات قلتُ لها: إنَّ يومهم قريب يا ابنتي فقط اصبري
وسترين في قابل الأيام ماذا سيحدث، ساعتها سكتت البنت ورمقت
السماء بنظرةٍ تحملُ في طياتها الأنتظار المر والصبر الذي طال والذي
سيتهي على خير

حدث في الأسحاقبي

- يا شباب .. إنهم قادمون .. إحملوا أسلحتكم
صاح الشيخ نعمان السعدون بعلو صوته وهو يُحشد الشباب
ويشدُّ من أزرهم ويشجِّعهم على مواجهة عصابات داعش القادمة
إلى ناحية (الاسحاقبي)، سمعوا ضجيجاً يصمُّ الأذان، اعتدل
الشيخ نعمان وأوغل بصره إلى الأفق الملغوم بالكائنات السوداء
الزاحفة ببطء كأنها حيوانات متوحشة قادمة من غابة مليئة بالأفاعي
والوحوش، جمَّد المشهد الذي كان يُراقبه بناظره كانت ثمة حشود
كبيرة تملأ الأرض المحترقة تقترب وتقترب نحو البيوت الآمنة كأنها
موجة سوداء لزجة، وكان الصَّخبُ يرتفع شيئاً فشيئاً، حينذاك التفت
الشيخ نعمان إلى مَنْ معه من أبنائه واخوته وأبناء عمومته وشباب
آخرين:

- هل ترون ما أرى؟

- نعم

- هل أنتم مستعدون؟

- كل الاستعداد يا شيخ اطمئن

في بداية يوم ١١-٦-٢٠١٤ جاءت عصابات داعش بعد سقوط الموصل والرمادي ومن ثم صلاح الدين ووصلوا إلى ناحية الاسحاقى، لقد جاء داعش كما قال الشيخ نعمان من عمق المناطق التي كانت تضحُّ بالاعتصامات ولم يأتِ داعش من دول أخرى في البداية إنما علَّمتُه الاعتصامات وهيَّأته ووفرت له المال والسلاح .

في يوم الحادي عشر من حزيران، غزا هؤلاء الأوباش مدينة الاسحاقى، في البداية جاءونا مُتسَرِّين بغطاء الدين والتقوى والورع والدين بريء منهم ومن أفعالهم المُشينة، ما إن دخلوا المنطقة حتى استولوا على الدوائر الحكومية ومؤسسات الدولة الأخرى فأخذوا الأسلحة من المشاجب ثم بدأوا بقتل الناس والتهجير القسري لأهل المنطقة ولم يَسَلَم من شرِّهم أحد، كان الوضع فوضى ضربت أطنابها في المنطقة من قتل ونهب وخطف وسلب، جاءتني مكالمة من قائد عمليات سامراء وهو يسألني عن الوضع هنا أخبرته أنَّ الوضع عندنا مُتدهور جداً والدواعش يحرقون كل شيء وكان الدعم يأتيهم من المحافظات الأخرى، سألتني إن كنتُ أستطيع تجنيد الشباب هنا، قلتُ

له:

(نعم أستطيع تجنيد (١٠٠٠) مقاتل من الشباب)

بعد ذلك اتصلتُ بالشيوخ الموجودين هنا وتم الاتفاق على اللقاء في اليوم التالي وسيكون غداً التهيؤ، طبعاً سار الأمر بالكتمان الشديد والسرية المطلقة، وقمتُ أنا بتبليغ الشباب من أبناء قبيلتي، بعدها جاءني شباب كثيرون من قبائل مختلفة تدفعهم الوطنية وحب الوطن كانوا مُدججين بالأسلحة والعزيمة الثابتة، في اليوم التالي بدأنا باقتحام الأماكن التي احتلتها عصاباتهم ومَعنا قُوى جاءتنا من سامراء، دخلنا منطقة الاسحاقى بسهولة ويُسر ولم نَجِد أحداً من الدواعش الجُبناء الذين هربوا تاركين كل شيء من سيارات وأسلحة، دخلنا جامع الاسحاقى وشغلنا المُولد الكهربائي وقُمنا ببث بيان للناس وأوضحنا لهم:

(لا تخرجوا من بيوتكم والذين هربوا من بيوتهم عليهم العودة آمنين ولا يَخافون من أحد فالمنطقة آمنة ان شاء الله)

ثم حوّلنا المنطقة إلى مُعسكر للتدريب والاستعداد للقتال ومُواجهة أي معتد على المدينة وقُمنا بتصوير كل نشاطاتنا وبثناها في مواقع التواصل الاجتماعي حتى يراها داعش ويُوقن أن المدينة

محمية بيد أبنائها الشجعان، وحين تفقدنا غرفهم ومكاتبهم وجدنا جوازات سفر مزورة وهويات لمختلف الدوائر وبأساء وهمية، وجدنا أيضاً مُستمسكات وشهادات وتعهدات للناس المعتقلين الذين رُبما أعدموهم يُوقعون على وثائق توبة، اكتشفنا مقابر جماعية لرجال ونساء وأطفال قتلوهم بلا رحمة ولا وازع من ضمير ودفنوهم في حفرة كانت دوامة من الهدم والكفر بكل شيء، لقد ضجّت المدينة بالأيتام والعوائل المُشرّدة والعذارى المُغتصبات والشجر المُحترق حتى الشجر لم يسلّم من شرهم، كانت المدينة ظلام في ظلام، كانت العصافير مذعورة تبحث لها عن أعشاش آمنة بدل تلك الأعشاش المُحترقة، ها هو النور ينبثق من بعيد في أعماقنا ليأتي معه الهدوء والسكينة، نسمع من بعيد صفير ريح صرصر عاتية تلاحق أقدامهم المتعثرة في صحاري الضياع، لم يبق منهم الا الكوابيس والأطلال والغربان التي ظلّت تنعق وهي مُعلّقة على أعمدة الكهرباء المقطوعة، وها نحن نتساءل: هل تعود ثانيةً أحلامنا السعيدة وتزهّر من جديد على وسائدنا لننام براحة واطمئنان !! سأقولها للتاريخ أنا الشيخ (نعمان السعدون) لولاكم أيها الشباب ولولا مجاميع الحشد الشعبي بكافة تشكيلاتها، وقواتنا المسلحة البطلة لما كانت هناك دولة ولا علم

ولا شعب، فأنتم أمان هذا الوطن أيها الشُّرفاء وسنكون جميعاً معكم
جُنوداً أوفياء لوطننا الغالي ...

بادوش

حين يَقْتُلُ الإنسان أخاه هل هذا يعني أن الأرض تكون شريكته في الجريمة، ربما تُقدِّم له سلاحاً يجده في حفرة، هناك في الأرض عينها أقدمت قبائل على ذبح قبائل أخرى وحدث أن النساء والأطفال تعرضوا للاغتصاب والتشويه على أيدي عصابات داعشية همجية اقتحمت مدن غرب العراق وعاثت في الأرض فساداً، وبالنار أحرقت البيوت واسودت السماء بالدخان، تلاطم اللحم الحي باللحم المحترق وتحطمت العظام، النساء أصبحن أرامل والأطفال يتامى، هذه الحرب تُذكِّرنا بحروب التاريخ القديم حين كانت الجياد تصهل في البرية وهي منطلقة تحوم حول الجثث تنخرُ بشراسة وهستيرية في صخب المعركة، الروائح العظنة للجثث المحترقة هاجمت الخياشيم في السهول والأعشاب وسط الزهور البرية الملوخة بالدماء، كانت تلك العصابات تمسك الرجال وتُحقِّق معهم بعنف وتهددهم بالقتل إن لم يتخلَّوا عن معتقداتهم ودياناتهم، وحين يرفضون تبدأ المناشير بالعمل

فنتقسم الأجساد إلى أجزاء مُتناثرة متساوية الحجم والأبعاد، ثمّة الكثير من الموت يُحْدث كما لو أنّ وابلًا منه سقط من السماء الغاضبة، صارت الأرض مظلمة بفعل الحرائق والدخان والأنفجارات، ثمّة في الأفق البعيد تأتي المدافع والدبابات الحكومية محمّلة بأطنان من المقذوفات المتفجرة، أمست جروح الأرض مفتوحة لجروح الأجساد البشرية، لم تكتفِ هذه العصابات بالسيطرة على المدن الأسيرة إنّما صارت تبحثُ عن كل انسان طليق يتنفس هواءً غير هوائهم، فانتبهوا إلى بناية كبيرة بأبراج عالية، سأل كبيرهم:

- ما هذا؟

فأجابوه: - إنه سجن بادوش

- سجن بادوش! وهل مازال السُّجناء يرزحون فيه؟

- نعم سيدي

- اذن لننطلق ونرى ما يحدث في الداخل ..

ثمّة الكثير من التقارير الأهميّة التي حققت في الفظائع المرتكبة من قِبَل هذه العصابات تقول: أنّهم ارتكبوا جرائم ضدّ الأنسانية وجرائم حرب في سجن بالموصل في عام ٢٠١٤ حيث قُتل بشكل منهجي ما لا يقل عن (١٠٠٠) سجين .. يقول شاب في مُقتبل العمر

كان قد عثرت عليه القوات الأمنية العراقية وهي تدخل في منطقة السجن المحترق بمن فيه، يقول أخذونا إلى مكان آخر خارج السجن كُنَّا أكثر من (١٠٠) سجين، ثم فُرِزنا وفُصِّلنا على أساس ديني وطائفي بطريقة مُذلَّة ثم بدأ القتل المنهجي لكل الذين يُختلفون معهم في العقائد والطوائف، ووصل العدد إلى (١٠٠٠) سجين قتل، وكنتُ أنا من الناجين القلائل من تلك المذبحة، وتقول التقارير الأُمِّية أنَّ الدواعش ارتكبوا جرائم ضد الأنسانية تتمثل في الإبادة والتعذيب والاختفاء القسري والاضطهاد وغيرها من الأعمال غير الأنسانية في سجن بادوش فضلاً عن جرائم الحرب المُتمثلة في القتل العمد والتعذيب والمعاملة غير الأنسانية والاعتداء على الكرامة الشخصية والاعتصاف سواءً للنساء أو للرجال، لقد استطعنا أن نأخذ معلومات قيِّمة من ذلك الشاب الذي نجا بأعجوبة من الموت المُحقَّق في السجن لكنه أيضاً تعرَّض للتحقيق:

- من أنتَ؟

- اسمي محمد

- ما هي جريمتك

- جريمة شرف غسل عار

- كيف يعني؟
- قتلتُ أختي لأنها أحببت شخصاً لا تُريده عائلتنا
- من أي منطقة أنت؟
- من الموصل الحي العسكري
- كنتَ عسكرياً؟
- لا كنتُ طالباً
- وكم كانت محكوميتك؟
- ١٠ سنوات
- هذا حُكم ظالم لأنك تأرت لشرفك
- هذه هي أحكام هؤلاء الكفرة شيخنا
- هل تُريد العمل مَعنا أم العودة إلى أهلك؟
- أنا أريدُ العمل معكم واقامة دولة الإسلام على هذه الأرض
- بارك الله فيكَ ثم أمرَ مجاميعهُ:
- فُكوا قيدهُ وزوّدوه بالسلاح وليكن من رجالنا، نحن بحاجة
إلى الشباب المؤمن ..

حين فُكوا قيدي، أعطوني رشاشة كلاشنكوف بخزانة ممتلئة
بالرصااص ومن ساعتها فُكّرت بطريقة للهرب منهم وإن اكتشفوني

سأواجههم سأقتلهم وأقتل، سألت أحدهم وكان قُربي:

- هل أستطيع الحصول على حربة أو سكين؟

- ماذا تعملُ بها؟

- أذبحُ كلَّ مَنْ يُخالفنا ويُجاربنا ضحكَ الرجل واستلَّ سكيناً من

حزامه وأعطانيها وهو يربُّتُ على كتفي:

- خذها أيها البطل ..

بعد ذلك قتلتُ هذا الرجل بسكينته اللامعة حين كُنَّا وحدنا

وكنتُ قد هيأتُ الظرفَ المناسبَ للهرب والتقدم إلى القوات الأمنية

العراقية المُرابضة قرب السجن وهم يُراقبون كلَّ تحرُّكاتنا بالمناظير،

هربتُ تحتَ جناح الليل المظلم مُتوجِّهاً إلى القوات العراقية والحشد

الشعبي، وكنتُ أسمع خلفي الاطلاقات النارية وهي تتزُّ مارة

بالقرب مني، بعد ساعات من الركض المستمر لمحتُ مُدرَّعات

الجيش العراقي فصحتُ بأعلى صوتي (ها اخوتي ها انجدوني لقد

هربتُ من جحيم بادوش) ثم أغمى عليَّ لأجد نفسي في سرير دافئ

وثمة الكثير من الجنود يُحيطون بي

- الحمد لله على سلامتك

أبطال من أمربي

كتبْتُ في دفترتي الذي أسميتهُ (دفتر النار والرماد) قصص البطولات الأنسانية التي قام بها أبناء شعبي الأبي وهم يُقاومون العصابات الإرهابية الدخيلة التي جاءتنا من مختلف مزابل العالم .. لقد رمى هذا العالم نفاياته على العراق بين ليلة وضحاها، في هذه الأسطر سأحدِّثُ عن واحدة من هذه البطولات التي حدثت في منطقة (أمربي) .

جاءت الأخبار لأبناء هذه المدينة بأن طريق بغداد قد أغلقه تنظيم داعش، ثم دخل هذا التنظيم إلى القرى التي تؤدي إلى أمربي، وقاموا بقطع الكهرباء والماء وشبكات الاتصال بحيثُ صارت هذه المنطقة معزولة عن العالم وأصبح أهلها محاصرين من هذه المجاميع التكفيرية، وحدث تعرض على قرية (البورشلي) وحين سمعت قيادة شرطة أمربي ومعهم العشائر خرجوا لأنقاذ أهالي القرية وفي هذه الأثناء استشهد ثلاثة من مقاتلي الشرطة، لقد أيقن الجميع في هذه المدينة

بأنهم محاصرون ولا منفذ لهم للخروج أو للدخول أو طلب النجدة من القوات الأمنية العراقية فجميع الطرق أُغلقت وصار من المحال أن تصل أية امدادات لهم، ولهذا اجتمعت العشائر من القيادات الأمنية في احدى الحسينيات ليرسموا خطة المواجهة مع العدو، قرّروا أن نُقسّم المقاتلين على ثلاث مجاميع كل مجموعة تقومُ بمسك منطقة من المناطق التي نسيطر عليها، كان معنا ثلاثة ضباط وخمسة وثلاثون جندياً جاءوا إلى آمرلي وكان العقيد مصطفى رحمه الله مسؤولاً عن العمليات العسكرية وشكلت غرفة عمليات لهذا الغرض ولاصدار الأوامر إلى المقاتلين والتهيؤ لمواجهة العصابات التكفيرية التي تُحاول السيطرة على المدينة المحاصرة ثم بدأ القصف الشّدِيد على المدينة.

يقول الشيخ (جمال الأمرلي): يوم ١٧ من شهر رمضان تعرّضت المدينة إلى هجوم شرس شنته تلك العصابات وأعطينا عدداً من الشهداء ثم تفاجأنا بهجوم آخر من جهة مقام الإمام الحسن -عليه السلام- حيثُ تقدّمت علينا ثلاث دبابات ومدرعتان نوع همر، وبتضحيات المقاتلين الأبطال وبعض من عناصر الكتائب وطيران الجيش الذي عالج أمر الدبابات ثم صدّ الهجوم وأفشله، الحقيقة لم نكن وحدنا في محنة هذا الحصار الظالم إنما كان معنا الله سبحانه

وتعالى ودعاؤنا في حفظ دماء الشباب والنصر على هؤلاء التكفيريين
المجرمين.

فجأة وحين كنتُ مشغولاً في غرفة العمليات مع اخواني جاءني
ابني وهو شاب لم يتجاوز العشرين من عمره قال لي:

- أبي أسمعُ أنا أذهبُ لمشاغلة هؤلاء حتى تتمكنوا من صدِّ
عدوانهم والأنتصار عليهم

- ابني أنتَ لم تتدرب على حمل السلاح ولا على مواجهة العدو

ككيف أسمعُ لك بهذه المهمة التي تحتاج إلى جندي متدرب على ذلك

- أقسمُ بالله أنا أستطيع أن أقومَ بهذه المهمة جرّبني أرجوك يا أبي

- تجربتك معناها أنني أُلقي بك إلى التهلكة عند ذاك تدخل أحدُ

المقاتلين وهو يقاطع ولدي - أسمعُ محمد هذه مهمة صعبةٌ، ولن يقوم

بها إلا المقاتلون المتمرسون

- أنتم تستصغروني ولا تثقون بكفاءتي القتالية

- حاشا الله يا محمد فأنتَ رجل وابن رجل ولكن الأمر يتطلب

خبرة وتدريباً وحكمة

- وأنا لدي كل ذلك ..

أجبتُهُ

- أنت لا تملك الا الارادة والشجاعة هذه الشجاعة بلا خبرة
ولا تدريب، فعلاً تؤدي إلى الانتحار
- لتكن العملية انتحارية اذن حين سمعتُ كلامه غضبتُ عليه
وصرخت في وجهه
- هل أنت مجنون تنتحر ونحن نحتاج إلى مقاتلين يدافعون عن
المدينة
- سيظن الناس هنا أنك تخافُ عليَّ بينما الشباب الآخرون
يذهبون ويقاتلون وأنا لستُ جباناً ثمة حركة لصوت دبابات على
وشك أن تدخلَ في شوارع المدينة المقفرة، الهواء ساكن لكنه فجأة يأتي
بهزيز مثل ريح قطبية تقترب شيئاً فشيئاً.
- نظر محمد إلى أبيه ثم ينتقل بنظراته إلى وجوه المقاتلين المتحفزين
للحركة وأيديهم على زناد بنادقهم، فجأة سُمع دوي اطلاق نار ثم
تلاها صوت انفجار يصم الآذان، قال أحد المقاتلين:
- هذه طلقة دبابة قال آخر:
- لا .. انه صاروخ
- في هذه الأثناء اختفى محمد، صار أبوه يبحثُ عنه في الغرفة التي
ازدهمت بالمقاتلين

- هل رأى أحد منكم محمداً؟

- تفاجأ الجميع بغيابه المفاجئ

ما زال صوت الدوي الآتي يقترب منهم وثمة هزيز عاصف يهز أرجاء المدينة خرج الجميع وهم يوجهون فوهات بنادقهم إلى عمق الظلام، ثم شاهد الجميع ثمة ظلاً لرجل يقف في مواجهة الدبابات القادمة لاختراق حصار المدينة ولضرب البيوت والناس، كان هناك من يواجه تلك الدبابات ويرمي عليها من نار بندقيته وهو يتقدم نحوها، صاح الجميع:

- إنه محمد .. يُحاول أن يُعرقلَ تقدُّم تلك الدبابات

هجم الجميع من جميع الجهات وتبادلوا الرمي، توقفت الدبابات وثمة من صار يتراجع إلى الطريق الذي أتى منه .. حين انتهى الأنسحاب وقف الجميع كجدار صلد لحماية المدينة وأثناء عودتهم اعترضتهم جثة تسبح بالدماء، صار فتى قريب منه .. إنه محمد لقد مات هذا الفتى الشجاع أثناء تقدُّم تلك الدبابات وكان سبباً في عودتها إلى خارج المدينة.

القصف

ظَلَّ الهواء ساكناً ذلك اليوم رغم أنّ غُلات الدخان الأسود تتسلل شيئاً فشيئاً إلى سماء المدينة، كان الجميع مُتوجّساً متوقعاً سماع أخبار جديدة عن هجوم وشيك أو قصف أو ماشابه مما قد يُودي بحياة الكثير من الأبرياء .. كان الضابط عامر العاني واحداً من الأبطال الشجعان الذين وقفوا بوجه القوة الغاشمة لعصابات داعش وأحبط الكثير من خططهم وتجنّب نيّتهم الشريرة لاحتلال المدينة .. لم يكن هذا المقاتل الشرس يتوقع أن يُصبح بلده في حالة كهذه الحالة حيث ثلّة من اللصوص والقتلة يُحاصرونه بأسلحة زوّدتهم بها قوى ارهاب عالمي من مختلف الدول البعيدة والقريبة، المشكلة ليست في السلاح فقط إنما زوّدهم بالمقاتلين أيضاً وهناك من يُحطّط لهم ويفكّر نيابة عنهم، هؤلاء جاءوا من أصقاع الأرض المختلفة من أمريكا وأوروبا وأوروبا الشرقية وكذلك من البلاد العربية سواء من المغرب أو المشرق أو من دول الجوار، الكل صار يحمّل سلاحه ويتوجّه لنا

ليقتل المدنيين الأبرياء في الشوارع والمدارس والمؤسسات الرسمية بالسيارات المفخخة والخطف والقتل والذبح وبأية وسيلة لا تحمل سمة الأنسانية، إنهم وحوش في زي بشر .

بفضل الله استطعتُ أن أفلتَ من شرِّهم أكثر من مرة وهو ليس بالأمر الهين أبداً فقد عشتُ وعائلتي فترات لا نستطيع أن نغمض أعيننا عندما ننام، فعندما ناوي إلى الفراش نغمض عيناً ونُبقي عيناً مفتوحة تُراقب كل شيء في الغرفة وخارج البيت، لقد تعرَّضتُ لأربع اصابات وفي كل مرة أنجو بفضل الله ورحمته ..

يُنهي الضابط عامر العاني السَّطر الأخير في دفتر ملاحظاته ويُخفيه في جيبه متوقِّعاً أن تأتيه أوامر جديدة لنجدة لبعض المدنيين أو للتخطيط لهجوم على تلك العصابات التكفيرية .. تفتُح زوجته دفتر ملاحظاته بعد أن تغيَّر الزمان والمكان ولم تستطع أن تمسك نفسها ودموعها من التساقط على الورق الصقيل الأبيض ثم تكتب:

كان زوجي الضابط عامر رجلاً شهماً قوي البأس شديداً لا يخاف في الحق والدفاع عن الوطن لومة لائم، وقد واجه الكثير من المصاعب وهو يُقاوم حصار هذه العصابات التي تُحاول اقتحام مدينتنا (عانة)، استشهد الكثير من رفاقه أثناء تلك المواجهات وبقي

هو عصياً صعباً لا يستطيع أفواههم شكيمة وقوة من الوصول إليه، راقبوا جميع تحركاته، نشاطاته، خروجه ودخوله من البيت، صارت العيون تترصّده في كل مكان ..

احتلّ تنظيم داعش مدينة (عانة) وكان زوجي مُتواجداً في الخدمة في مركز شرطة (عانة) قاتل هو ورفاقه قتالاً ضارياً وحين نفذت أسلحته واستشهد معظم الذين معه تراجع مع مَنْ بقي معه إلى قضاء (حديثة)، وهناك استلم خط الصد في المدينة، وبقي حصار المدينة قائماً مما سبب مجاعة كبيرة لكن حديثة لم تسقط رغم كل شيء لأن فيها رجالاً أقوياء يصبرون على الضيم مُقرّرين الخلاص من داعش، كان دور العشائر كبيراً أيضاً في رفق المقاتلين بالرجال والسلاح مما أضفى قوة على قوة المقاتلين الأبطال، لكن من المواقف المؤلمة التي لن ننساها جميعاً وخصوصاً زوجي، حادثة اقتحام داعش لبيت أقربائنا وكان الرجل يقرأ القرآن وما إن فُتح لهم باب الدار حتى دخلوا بسرعة مع أسلحتهم ورأوا رجل البيت يقرأ آيات القرآن بصوت عالٍ أطلقوا على رأسه الرصاص فتناثر مُخّه ودماءه على صفحات القرآن.

وفي مجلس الفاتحة حين أُقيم العزاء على أرواح الشهداء عَرَضُوا القرآن المُلطّخ بالدماء أمام أنظار الناس حتى يكون له وقعاً كبيراً في

النفوس وبيعتُ فيهم القوة والرغبة في مقاتلة هؤلاء المجرمين وطردهم من المدينة ومن العراق، ثم جاءت الحادثة الأكثر ايلاماً ودموية حين قتلوا أخ زوجي وهو رجل مدني أعزب كان وقتها صائماً قتلوه ليحترق قلب زوجي عليه وفعلاً حدث هذا الشيء مما دفع زوجي إلى التخطيط والانتقام من القتلة .. وهذا ما حدث حيث اقتصص من القتلة وقتلهم شرقتلة ورمى بجثثهم إلى الكلاب في المزبلة، وأخيراً وحين كان ذاهباً إلى بغداد في مهمة رسمية تعرضوا له وفجروا سيارته بعبوة ناسفة فمات الذين معه وخرج هو مضرباً بالدماء مملوءاً بالجروح حملوه معهم ولا نعرف مكان خطفه ولم يعرف أحد من القوات الأمنية المكان لكننا سمعنا بعد ذلك أنهم وضعوه في قفص كبير وقد جاءتنا مقاطع فيديو من حسابات مجهولة وأسماء مستعارة كلها تعرض فيديو دمويًا ومؤلمًا. كان زوجي يُعاني من جروحه التي لم يعالجها أحد كان يجلس القرفصاء في قفص حديدي ضيق لا يستطيع أن يقف ويمد قامته فيه إنه قفص للحيوانات التي يتم صيدها كانوا يفعلون ذلك لينقلوا لنا رسالة بأنهم عثروا على صيدهم السمين وهم فرحون بذلك كثيراً، وفي يوم تنفيذ اعدامه وكان يوماً مشؤوماً مأساوياً لا يتحمله قلب فكيف بي وقد شاهدت الفيديو، جاءوه صباحاً وكان يؤدي صلاة الفجر لم يمهلوه وقتاً ليكمل صلاته

رشوا عليه البنزين ورموا النار فالتهب القفص ومن فيه كان زوجي
ساجداً لله، وظل على وضعه ذاك حتى تفحّم جسده وفاضت روحه
الطاهرة إلى بارئها.

سوق الحرير

كُلَّمَا أَنهِي قصة من القصص المأساوية أقومُ باخفاء دفترتي في حفرة عميقة في الأرض بعد أن أَلْفُ عليه كيساً بلاستيكيّاً خوفاً من الرطوبة وحين أجدُ الوقت المناسب أخرجه وأبدأ في الكتابة، هذه المرة قرّرتُ السّفرُ إلى إقليم كردستان وهناك تفاجأت بالعدد الهائل للنساء اللواتي هربن من التنظيم، كُنَّ مُتعبات جداً بسبب المشي الذي استمر لمدة يومين متواصلين، لقد سيطر داعش على (سنجار) بتاريخ ٣-٣-٢٠١٤ وهي أكبر منطقة للأيزيديين، أما الذين لم يُجالفهم الحظ بالهروب فذهبوا باتجاه جبل سنجار، في حين وقع بعضهم الآخر أسرى بين أيدي داعش وقد أُعِدِمَ مُعظمهم لاحقاً، وهناك تعرّفتُ على الطبيبة سلمى وهي فلسطينية الجنسية تعيش في كندا وقد جاءت إلى هنا لمساعدة الناجيات تقول: إن ٦٥٠٠ مدني أيزيدي خطفهم داعش في منطقة (كوجو) فقتل كل الرجال وأسرت النساء والأطفال وذهبوا بهم إلى الموصل ومنه إلى سوريا.

تُكمل الدكتورة سلمى انها بعد أزمة كوجو المرعبة قرّرت مساعدة أولئك الناس الذين تعرضوا لأبشع أنواع القهر والدمار النفسي والجسدي:

- عندما سمعتُ بوصول أول ناجيتين هربتا من سجون داعش ذهبتُ لزيارتها مع بعض الناشطين وكان وضعهما سيئاً جداً وعلى أثرها بدأ مشواري الطبي في علاج الناجيات من داعش، هؤلاء الناجيات اللواتي التقيتُ بهن أعمارهن تتراوح بين ٨ سنوات إلى ٦٥ سنة وهنَّ جميعاً يُعانين من ظروف نفسية صعبة وجميعهنَّ مُصابات بكآبة حادة وأمراض جسدية حرجة ومنها أمراض مُعدية انتقالية، ظروف الناجيات الحالية سيئة جداً وكلهن موجودات في مخيمات تفتقرُ إلى أدنى مقوّمات الحياة، كما أن هناك أكثر من (٣٢٠٠) امرأة وطفل ايزيدي مجهولي المصير ولا معلومات عنهم ..

كتبتُ في دفثري ما كانت تقوله الدكتورة سلمى وهي تتحدثُ عن مآسٍ يَشيبُ لها رأس الوليد حين رأيتني أكتبُ سكتتُ لكنني أدركتُ وقلتُ لها أكملني لو سمحتِ دكتورة: فقالت:

- لقد تعرّضتُ هؤلاء النساء للاغتصاب والضرب والبيع والشراء في سوق خاصة لذلك، كانوا يجمعون الأسيرات المتعبات

المُنهكات من الضرب المبرّح ومن عمليات الاغتصاب المتتالية، كن يقفن منهارات ينتظرن من يدفع بهنّ مبالغ بخسة ويأخذهن إلى البيت تُكمل الدكتورة سلمى:

- لقد قمتُ بمعالجة حالات اغتصاب لبنات لم تتعدّ أعمارهن ٨ سنوات اغتصبهن عناصر داعش سكتت ثانية محاولة استذكار بعض الحوادث التي تركت أثراً واضحة في قلبها:

- لقد رأيتُ قصصاً مؤلمة فقد تعرّفت إلى مأساة (١٢٠٠) ناجية من داعش وكانت تجارهن مؤلمة وقد أثرت على حالتي النفسية كثيراً بحيث كنتُ أعودُ إلى البيت وأبكي طويلاً ولو نسيْتُ كل هذه القصص فلن أستطيع نسيان قصة الفتاة (بهار) فقد خُطفتُ بعد ثلاثة أشهر من زواجها وأُعدم زوجها على أيدي داعش فأضحت أسيرة لدى التنظيم وتمّ بيعها أكثر من ١٥ مرة بين عناصر التنظيم وقد حاولتُ المسكينة الهرب مراراً مع صديقتها ولكنها فشلت.

وفي إحدى المرات كشف عناصر داعش خُطّتها للهروب مع صديقتها وأمسكوا بها وأعادوها إلى السجن فكان عقابها هي وصديقتها أن يُقطع رأسيهما وحين وضعوها على الأرض للبدء بتنفيذ الحكم بالسكين بعد أن قطعوا رأس صديقتها أمامها وهي

تصرخ طلباً للمساعدة شاء القدر أن يأتي أحد قادة داعش ويأمرهم
بايقاف التنفيذ نتيجة تلقّيهم معلومات تُفيد بقصف وشيك بالطيران
.. ثم تابعت دكتورة سلمى قائلة:

- لقد شاهدت (بهار) صديقتها تُذبح أمام عينيها وهي صدمة
كبيرة جداً لها لم تستطع تحمّلها وإلى الآن هي غير مستقرة نفسياً اذ
أحيانا وبينما تتكلّم بشكل طبيعي تبدأ فجأة بالصراخ والبكاء وتتناها
حالة من الذعر.. في هذه الأثناء مرت من أمامنا فتاة مُتعبة نادت
عليها دكتورة (سلمى):

- نعم .. نعم

- نعم دكتورة

- تعالي لو سمحت ثم التفتت إليّ قائلة:

- هذه نعم وقد شاهدت أموراً مؤلمة قالت الدكتورة مُحاطبة

نعم:

- هل بإمكانك أن تحكي ما شاهدت؟

جلستُ نعم بهدوء وهي تنظرُ إلى الأرض وفي عينيها تحبّسُ

دموع كثيرة

- رأيتُ بعيني ما فعله أحد الدواعش المجرمين بطفلة عمرها

ستين فبعد أن أهدها رفيقهُ والدتها وفي أحد الأيام كانت الطفلة تبكي دون توقُّف ويبدو أنها كانت مريضة فما كان منه الا أن حَمَلَهَا إلى أعلى ورفعها بيديه ورمأها بقوة على الأرض فسقطت مهشَّمة الرأس أمام عيني أمها .. توقَّفتُ (نعم)، وقد أجهشَّت بالبكاء ثم اعتذرتُ ونهضت مسرعةً .. عادت دكتورة (سلمى) إلى الحديث وكنْتُ أنا أكتبُ محاولاً ألا يفوتني شيء مما تقوله:

- إن عناصر داعش كانوا يستخدمون التيار الكهربائي لمعاينة المُخْتَطَفَات اللواتي يَعصينَ الأوامر وكنَّ أيضاً يتعرضن إلى اعتداء زوجات الدواعش حيث تقوم هؤلاء الزوجات الداعشيات بحرق المُخْتَطَفَات وقد حدث أن تركوا فتاة أيزيدية ليلة كاملة تحت المطر لأن الداعشي قال لزوجته أن هذه الأيزيدية أجملُ منك فصَبَّت الزوجة جام غضبها عليها وتركتها تحت المطر ..

بدأتُ أشعر بالاختناق وأنا أُسارع في كتابة هذه الوقائع في دفثري فلم أعد أستطيع التنفس وحين أحسَّتْ الدكتورة سلمى بي وبحالة الضيق التي أشعرُ بها قالت:

- أشعرُ أنّك تتألَّم سأنهي حديثي
- لا أبداً استمري دكتورة أنا بخير

- لا يبدو عليك ذلك !

المهم هؤلاء النّاجيات يشعرون بالخوف من المجهول ومن المستقبل فضلاً عن أزمات نفسية حادة وكآبة وقد حاولت الكثير منهن الأنتحار، لا بد لهؤلاء المسكينات من استقرار في كل شيء وأهمه نقلهن من الخيم البائسة هذه إلى منازل لائقة بهن ويجب البحث عن بقية المخطوفين والاسراع باخبار عائلاتهم بمصيرهم سواء كانوا أحياء أم أمواتاً .. شكرت الدكتورة سلمى كثيراً ثم كففت دموعي وأسرعتُ في الخروج عائداً إلى مخبأي من جديد وأنا أحاول أن أخفي دفترتي من العيون المتطفلة

قهرمان

لقد شارفَ دفترى على النهاية أعتقد أنني وفيتُ بعهدي حين نَفَذْتُ واجبي الوطني والأنساني بتوثيق جرائم داعش في الأراضي العراقية، بقي أن أتحدّث عن الرجل الايزيدي المُسلم (قهرمان) هذا الرجل الذي لم يكن يتوقَّع أنه سيقع أسيراً بيد هذه العصابات الارهابية.. جميعنا يعرف حقيقة هذا التنظيم الدموي المجرم وما كان يفعله في المدن العراقية التي احتلّها فقد كان يتفنّن بعمليات القتل والتنكيل والذبح لأنه عبارة عن آلة من القتل والموت والدمار لدرجة أنه جعل مدينة الموصل مقبرة لأهلها وهم أحياء.

بعد أسبوع من سيطرته على الموصل بدأ داعش بفرض قوانينه على أهالي المدينة بشكل تعسّفي ومُغاير تماماً لما عرفه أهل هذه المدينة، لقد تعيَّرت هذه المدينة بشكل كامل وأصبحت عاصمة للتطرف والتشدد والقتل والترهيب ومن هنا بدأت القصة حين أمر عناصر من تنظيم داعش أهالي المدينة بتغيير عاداتهم وتقاليدهم وكل مفاصل حياتهم بدءاً

من الملابس والمأكل والمشرب وطرق التعامل والتدريس والتعليم واعادة المدنيين إلى عصور حجرية موغلة في القِدَم، من رحم هذه المعاناة وهذا الخوف من التعذيب والجلد والغرامة وانتهاك الأعراض واجبار الناس على الانضمام للتنظيم وأخيراً القتل وهو بأشكال عديدة إما الحرق أو رمياً بالرصاص أو حتى الدعس بآلة ثقيلة أو النحر.

ظهرت قصص مرعبة ومحنة فداعش بدأ يُحاسب الناس على أبسط الأمور فاذا ظهر شيء من وجه المرأة يُجلد زوجها وإذا الرجل كان ملبسه غير موافق لتعاليمهم وأوامرهم يُجلد بل وصل الأمر إلى مسألة هل شارب الرجل يكون طويلاً أم قصيراً حتى وصل هذا الأمر إلى الاعدام، أما الرجل الايزيدي (قهرمان) فقد كان بطل هذه الحكاية منذ بداية اتهامه بمخالفة التعليمات والفقهاء الداعشي باطلاق شاربه مُتحدياً بذلك كل الأعراف الداعشية مما أثار غضبهم واستيائهم.

يقول (قهرمان)، أنه كان مُعتقلاً لدى داعش وقد قاموا بتعذيبه عدة أيام وُهمته أنه كان يمتلك شوارب كثرة لأن الأيزيديين لا يَحلقون شواربهم نهائياً ولا يَقصون شعرة واحدة منها لأن ذلك لا يجوز في ديانتهم وهي تُعد مسألة غير قابلة للنقاش بل يُجرّم حلق الشوارب تحريماً مُطلقاً وخصوصاً لدى رجال الدين فالأمر مفروض عليهم

أي ترك اللحية واطالة الشارب وعدم حلاقتها هيبة لهم وللدين كما هو في كثير من الأديان الأخرى وخصوصاً الدين الاسلامي الذي يؤكد على اطلاق اللحية وتخفيف الشارب لكن الايزيديين يُؤكِّدون على الشارب أيضاً وانه مهم في دينهم ولأن الرجل قهرمان كان أسيراً لدى هذه الجماعات الارهابية وخوفاً على نفسه من القتل قرر أن يعلن اسلامه وبدأ فعلاً يدخل المسجد وهو لا يفقه شيئاً من تعاليم الدين الاسلامي بل هو لا يعرف أصلاً القراءة ولا الكتابة ولم يخطر في باله أبداً أن الدواعش سينتبهون إلى شواربه التي يعتزُّ بها كثيراً، فقالوا له أن عليه أن يقصَّ شواربه لكنه رفض ذلك قالوا له: إن ديننا يُحرِّم اطلاق الشوارب بهذه الطريقة لكنه أجابهم بكل سداجة أن دينهم الايزيدي يُؤكد على اطلاق الشوارب فغضبوا كثيراً وهم يردون عليه: ولكنك الآن أصبحت مسلماً أيها الغبي، ولهذا اعتقلوه من جديد وقاموا بتعذيبه ثم حكمت عليه محكمتهم الشرعية والحكم غير قابل للنقاش والمراجعة وهو الاعدام بسبب شواربه فاضطر بعد أن سمع الحكم إلى قصَّ شواربه حينذاك فكَرَّ بخطة للهرب ولا يمكنه تنفيذ خطته إلا بقصَّ شاربه حتى يَغضوا النظر عنه ويستطيع هو أن يهرب بكل سهولة وهذا ما حدث حين أرخى الليل سدوله عليه

وكان في المسجد يُراقبهم كيف يُقيمون الصلاة وكان الوقت مناسباً جداً للهروب إلى إقليم كردستان، في تلك الليلة وهو يسلك طريقه هارباً من بطش داعش صادفَ دورية تابعة للحشد الشعبي وحين علموا بحكايته طمأنوه وقالوا له: إنك وصلتَ إلى المكان الآمن لكنه استدرِك قائلاً لهم:

- أنا أريدُ أن آخذ بثأري من هؤلاء القتلة الكفرة

- وماذا تريد؟

- أريدُ أن نعودَ إليهم من هذه الطريق نفسها فهي لا يعرف أسرارها أحد منهم ثم نختطفُ منهم ما نستطيع ونأسرهم. حينذاك ساد صمت طويل لأنَّ الأمر يحتاج إلى خطة آمنة وسريعة وغير متهورة قال:

- أنا أساعدكم لأنني أعرف المنطقة جيداً

- هذا شيء جيد وهل تعرفُ أماكن تركزهم؟

- طبعاً أعرف كل الأماكن التي ينامون فيها ويجتمعون

ثم بدأت الخطة وهي أن يعودَ قهرمان ويُفاتيح مجموعة من الدواعش ويُخبرهم بأنه رأى بعض الرافضة في هذا الطريق وهو يُريدهم أن يلقوا القبض عليهم وفعلاً تمت الخطة حين عادَ قهرمان

فأخبرهم بالأمر، فرح الجميع وقالوا سنُرسل معك من يُساعدك
ونقبضُ عليهم ..

جاء قهرمان ومعه ثلاثة مُسلّحين على أن تلحق بهم مجموعة
أخرى مكونة من عشرة مقاتلين آخرين، كان مقاتلو الحشد الشعبي
في وضع التأهب للتعرض لهؤلاء والقبض عليهم وما إن وصلوا حتى
فاجأهم رجال الحشد وحاصروهم والقوا القبض عليهم واقتادوهم
إلى وحدتهم في العجلات التي كانت مهيأة لهم حين وصلوا، سألوها
قهرمان:

- والآن أيها الرجل الطيب ماذا تريد؟ هل تريد أن نعيدك إلى
أهلك هناك في كردستان قال لهم:

- قبل أن أعودَ إلى هناك أريدُ أن أحلِق لهؤلاء القتلة شواربهم
ولِحاهم، صَحِكَ الجميع لكن قهرمان كان جاداً لهذا أعطوه ماكنة
حلاقة فقام بحلاقة شعورهم الوسخة وحين انتهى قال: انظروا إلى
هذه الوجوه القبيحة ألا تذكركم بالشّواذ الذين غضب الله عليهم؟
شكروا قهرمان وفي الصباح كان الرجل الايزيدي في طريقه إلى
كردستان حيث تنتظره عائلته

مأساة عمشة

في الجريدة التي أعملُ بها كلفني رئيس التحرير بعمل تحقيق مُوسَّع ولقاءات صحفية مع سُكَّان ناحية كنعان في (تل سبع) التابعة لمحافظة ديالى، كانت المهمة هي كشف جرائم العصابات الارهابية الداعشية في هذه المناطق، أخذتُ دفترتي وهيَّأتُ كامرتي وذهبتُ إلى (تل سبع) لأُصادف في بداية طريقي امرأة عجوز كانت تتأمَلني من بعيد وكأنَّها تنتظرنِي، سلَّمتُ عليها فردَّت عليَّ السلام وأخبرتها بحقيقة مُهمَّتي الصحفية وإن كان لديها شيء يُمكنها أن تُخبرني به عن جرائم القاعدة وداعش لأنَّنا نريدُ فضح الممارسات اللاإنسانية البشعة لهذا التنظيم بحق أبناء هذه المحافظة وكيف أنَّهُم مارسوا هذه الجرائم التي يندى لها جبين الأنسانية، قالت لي:

- عليك أن تسمعَ قصَّتي المؤلمة

- وأنا هنا لكي أسمعك

قالت بعد أن صمتت قليلاً وهي تنظر إلى الأفق البعيد مُحاولَة

استذكار كل شيء:

- في تاريخ ١٤-١٠-٢٠٠٦ أخبرني زوجي مُحَدَّرًا بأنَّ هناك عجالات مُحمَّلة بأشخاص ومتوجَّهة إلى القرية، كان بيتنا يتقدمُ بيوت المنطقة فهو قريب من المدخل الرئيسي للقرية، حين اقتربوا رأيناهم وعرفناهم من ملاحظتهم المشؤومة ولحاهم السوداء القذرة هم الدواعش لم ينطقوا بحرف، نزلوا من سيارتهم وأخذوا شقيق زوجي وقيدوه ثم عصَّبوا عينيه وحين دخل زوجي وهو لم ير شيئاً مما كان يحدث لنا فاجأوه وألقوا القبض عليه ثم قيدوه هو الآخر وحين اعترضتُ ركلوني بأحذيتهم وأسقطوني على الأرض وهم يوجَّهون أسلحتهم إلى رأسي، فجأة وعلى صوت الصراخ استيقظ ابني وكان معاقاً نفسياً ومتخلف عقلياً ظلَّ يصرخُ لكنهم قيدوه وكمَّموا فمه حتى لا يُزعجهم بصراخه، صرختُ طالبةً الرأفة والرحمة:

- أرجوكم اتركوا ولدي أقسمُ عليكم بدينكم وما تعبدون فهو معاق ومتخلف عقلياً

وكان آذانهم قد اصابها الصمم، فلم يسمعوا شيئاً من توسلاتي ولم يأبهوا لدموعي، حين انتهوا من تقييد الجميع بدأوا بسرقة كل ما تصلُّ إليه أيديهم فلم يتركوا لنا شيئاً ذا قيمة في البيت ثم سألوني إن

كنتُ أُخفي بعضاً من المال والا فانهم سيقتلون ابني وزوجي وشقيقه، أقسمتُ لهم أننا لا نملك شيئاً من المال والذي أخذوه هو كل ما نملك، كنا (بدواً رَحلاً) ننتقل كل فترة من مكان إلى آخر من غير أن نستقرَّ في مكان واحد مدة طويلة، أخذوا أغنامنا ومواشينا وكل شيء من البيت بعد ذلك اختفوا واختفى معهم زوجي وابني وشقيقه ولم أعثرُ على مكانهم الذي أخفوههم فيه. ومنذ عام ٢٠٠٧ وحتى هذه اللحظة وأنا أبحثُ عنهم قدَّمتُ شكوى في الكثير من مراكز الشرطة لكن محاولاتي كلها باءت بالفشل، ظلَّت الحرقه في قلبي وأنا أتحرقُ شوقاً لمعرفة أي خبر عنهم، وبقيتُ دائرة بين المركز والقضاء ذاهبة آية علَّني أسمعُ ما يثلج فؤادي ويؤكد لي أنهم مازالوا أحياءً.

نحن أناسٌ مُسلمون، لا أحد أصلاً يعرفُ بوجودنا الا الله الذي كفَّل قوتنا وأدام لنا رزقنا لأنه ربُّنا الرحمن الرحيم، أريدهُ أن ينتقمَ من هؤلاء القتلة فهو أيضاً المنتقم الجبار الذي سينتقم من الظالمين شر انتقام، لقد خسرتنا كل شيء حلالنا وأغنامنا، بيتنا ورجالنا لم يبقَ لي شيء اتوكأُ عليه في هذه الدنيا وحين أموتُ من الذي سيحملُ جُثتي إلى قبوري، طبعاً أنا أشك بمن قام بهذه الجريمة البشعة، لكن القضاء والادعاء يقولون وما هو دليلك على أنهم اشتركوا في الجريمة وأنا

لا أملك أي دليل على ضلوع هؤلاء المجرمين بفعلتهم البشعة، أنا أعرف أسماءهم، لكن لم يُنصّفنا أحد، ولم يُقدّم لنا أحد أي مساعدة لننال بعض حقوقنا ونقتصّ من هؤلاء المجرمين في كل شيء، أشعرُ بالنار المُستعرة في قلبي وأبكي من شدة حزني وغضبي وكأنني وحيدة في هذا العالم بلا معين ولا نصير ..

أنا حزينة على زوجي وولدي وشقيق زوجي أما المال والحلال فليس مهماً بالمقارنة بهم، المال يأتي ويذهب لكن الرجال حين يذهبون فلن يعودوا أبداً المال يتعوّض أما الإنسان فلن يتعوّض، آه .. يا ولدي لو أنهم فقط رأفوا بحالي وأعطوني جُثثهم لأدفنها بيدي لكنّ ارتحت وبردت نار قلبي، لهذا سأظلُّ أبحثُ عنهم في كل مكان حتى أجد لهم أثراً يدلُّني عليهم، فقدتُ من عائلتي أربعة أشخاص أما الخامس فقد ذهبَ ليبحث عنهم وعند بحثه عنهم وهو يقود سيارته حدثت له حادثة وانقلبت به سيارته ومات مخلصاً (٧) أطفالاً ..

قاطعتها محاولاً تهدئتها لترتاح قليلاً ثم سألتها:

- هل تعرّضت بيوت أخرى إلى نفس مأساتكم؟

- نعم هناك الكثير من العوائل حدث لها ما حدث لنا فهناك مَنْ

خطفوا وذبحوا ونُهبت بيوتهم وسرقوا أطفالهم واغتصبوا نساءهم،

لقد فعلوا بنا هؤلاء الدواعش جرائم يُجبلُ منها الشيطان
- ماذا تقولين الآن ولمن ترفعين الشكوى
- أرفعُ شكواي إلى الله المنتقم الجبار ومن ثمَّ للحكومة العراقية
لتأخذ لي حقي وتعثر لي على عائلتي وتُسلمني جثثهم إن كانوا موتى
ولا أريدُ منهم مالاً ولا تعويضاً ..
كتبتُ الكلمة الأخيرة في دفتر ملاحظاتي وأطفأتُ مُسجِّل
الصوت ثم التقطتُ لها عدة صور شكراً لكنها سألتني
- ماذا ستقول في موضوعك عني؟
- سأنشُر كلَّ شيء قلتيه وسيقرأه العالم أجمع
نظرتُ إليّ نظرات شُكر ثمَّ أطرقتُ رأسها أرضاً ولم تُعد تتكلم

بشيء

إمرأة من هيت

اسمي (قبس سليم) أرملة تعيش في مدينة (هيت) التي ترعرتُ بها وكبرتُ وتعلمتُ الأخلاق الحميدة من أهلها والعفة والشرف من نساءها، كُنّا نعيشُ كأسرة واحدة متجانسة يجمعنا الوفاء والمحبة والاخلاص حتى جاء داعش فتغيّر كل شيء في المدينة خصوصاً ما حدث لنا نحن نساء المدينة فقد صرنا في حالة يرثى لها من الذل والعبودية والأحكام الجاهلية المتخلفة التي عادت بنا إلى القرون الوسطى، فقد منعونا من الخروج إلى أي مكان والموظفات منعوا عنهن رواتبهن وصادروا كل ما يملكن وطبّق علينا نظام منع التجوال لا دخول ولا خروج ولا عمل ولا دراسة ولا حتى يُمكننا أن نتنفس، حتى أنّ الكثير من النساء اللواتي يُعانين من أمراض مزمنة تعرّضن للموت أمامهم من غير أن يرفّ لهم جفن أو يتأسّفوا أو يرقّوا لخالهن وهذا ما حصل لجدتي التي كانت حالتها الصحية تستدعي اخراجها من البيت وتسفيرها إلى بغداد للعلاج هناك، ولكنهم لم يسمّحوا لها

بل سمحوا لنا أن نقلّحها إلى مستشفى المدينة الخالي من كل شيء وهناك أسلمت الروح لبارئها شاكية ظلم الأنسان لأخيه الأنسان، واذا لزم أمر الخروج من المدينة بشكل حتمي وحين يقتنعون بذلك يُطالبونك بسند ملكية البيت لحين عودتك وإن هربت ولم تعد سيُصادر بيتك ويُصبح من أملاكهم وإن لم يكن لديك أي سند لأي ملكية فعليك أن تُدبر حالك وتأتي بسند من أحد أقاربك حتى تقوم بانجاز معاملتك وتعود إلى المدينة ثانية، وكذلك الشرط الآخر ستبقى عائلتك أطفالك وبناتك وكل من ينتسب لك بين أيديهم من أجل ضمانه رجوعك والا فسيكونون عبيداً لهم يُمارسون معهم ما يارسونه مع العبيد والإماء. وحين دخل هؤلاء الأوغاد القتلة بقيت في بيتي ولم أخرج حتى وصول مُقاتلينا الأبطال الذين جاءوا ليحررونا بدمائهم الزكية الطاهرة. لكن في فترة انتظارنا للمقاتلين رأينا الذل وعشنا المحنة الحقيقية التي مارسها علينا هؤلاء الأنجاس الكفرة، نسيت أن أقول أن لدي اثنين من الأولاد الأول (جمعة) وعمره ١٦ سنة و(خلدون) وهو بعمر العشر سنين، أمّا (جمعة) فهو لاعب كرة قدم في المنتخب في بغداد اتصل بي وقال:

- أمي سأسافر إلى تركيا للاشتراك في مباراة هناك وقبل سفري

أريدُ أن أراكِ لأنني مُشتاق لك جداً
أخبرتهُ:

- ابني أرجوك لا تأتي فهؤلاء إن أمسكوا بك فلن يرحموك
لكنه أصرَّ وجاء إلى (هيت) وفي السيطرة ألقوا عليه القبض
ومزقوا جوازه لكنه أخبرهم: أنه جاء ليرى والدته ويعود إلى بغداد
لكنهم منعوهُ من العودة وطبعاً حُرِم من اللعب في المنتخب وأصبح
سجيناً بإقامة جبرية هنا معنا فاضطر إلى العمل لبيع السجائر لكي
يُوفِّر لنا لقمة العيش، فتمَّ الاخبار عنه من قِبَل عيونهم وجواسيسهم
فألقي القبض عليه وسجنوه لمدة ١٥ يوماً لأنَّ السجائر محرَّمة بعُرفهم
وفقههم، وبعد شهرين من اطلاق سراحه عادَ إلى بيع السجائر
مُضطراً لكي يُشبع عائلته وحين ألقوا القبض عليه حذَّروه أنه لو قام
بهذا العمل من جديد فعُقبوبته ستكون الموت، وبقينا شهراً ونصف
الشهر نعيشُ على الكفاف لا نملك رغبة يومنا وليس لنا مُعيل غير
الله وولدي جمعة ولم يطق صبراً وهو يقول: حتى لو قتلوني سأعود
لبيع السجائر وليكن ما يكون، وحين قبضوا عليه هذه المرة أخفوه
لمدة ٨٠ يوماً في مكان لا نعرفُ عنه شيئاً ثم أخبرني أصدقاؤه بخبر
هزَّ كياني

- ابنك جُمعة سيُصلب في وسط (الجرى) سيقيمون عليه الحد
ويصلبونه ويكتبون على صدره ومن معه من المحكومين بالموت (تُجار
المعاصي) وبعد أذان المغرب سيُنْفَذ الحكم بهم، ولم أملك نفسي لأن
ولدي سيموت ولا بدّ أن أراه لذلك ارتديت البوشية ولبست الدرّع
والرّداء كوننا نساء (الحسبة) فلا بد لنا من ارتداء النقاب والكفوف
والا فسيكون عقابنا قاسياً سيقيمون بضرنا بالعصي الكهربائية
أو بالسوط الذي يحمل الدبابيس الجارحة. توجّهت من فوري إلى
(الحسبة) وكان مقرّها في (شارع الحمام) في (هيت) أخبرتهم أن ابني
جُمعة شاب فقير ومسكين وكان يعمل ليوفّر رغيّف العيش لعائلته
التي لا تملك سواه أجايني:

- ابنك محكوم بالقتل لأنه يُتاجر بالمعاصي
قلت لهم:

- من الجوع الذي أصابنا

فجأة سمعت صوتاً من أحد الجالسين قال لي:

- عودي إلى البيت وستجد ابنك هناك

قلت في نفسي ربما هو شخص يعرفني ويعرف عائلتي لذا فقد

رّق لحالي قلت له: كيف أعود وابني محكوم بالقتل هنا !!

أعادَ عليٌّ ما قاله: عودي إلى البيت وأعدي له العشاء وفعلاً ما إن وصلتُ إلى البيت حتى وجدتُ ولدي مُغمى عليه وهو في حالة يرثى لها، لكنهم عادوا وأخذوه وأخفوه لمدة ٦٢ يوماً واشترطوا عليَّ لكي يُطلقوا سراحه لا بدَّ أن أدفعَ غرامة وأنا لا أملكُ درهماً في البيت فمن أين سأدفع لهم الغرامة؟

أخبرتَهم أن زوجي المتوفيّ لديه بيت خذوه وأطلقوا سراحي ولدي. وفعلاً تمَّ لهم ذلك فقد صادروا البيت وأطلقوا سراحي ابني كانوا يلعبون معي لعبة القط والفأر حيث يُطلقونه يوماً يأخذوه لمدة شهرين أو أكثر. تهذمتنا بسبب قصف الطائرات وصار ابني خلدون تحت الركاب فأنقذه الناس، بعد ذلك صرنا بلا مأوى مما اضطرنا أن نسكنَ في المقبرة، في هذه الأثناء جاءني ابني جمعة بطريقة اعجازية لأن الله سبحانه وتعالى أرادَ أن يبعثَ الأملَ في نفسي ويُقويني، ومن المقبرة كنا نسمعُ أخبارَ تقدُّم قواتنا الأمنية التي لَقَّنت داعش دروساً غاية في القسوة، دخلَ مقاتلونا المدينة كالأبطال الفاتحين وهم يمشون على جثث الدواعش الأنجاس، من هناك وُلد الأمل من جديد ببناء المدينة والعودة ثانية إلى بيوتنا لبنينا بكلِّ عزيمة واصرار....

حكاية الدماء التي انتصرت

كُنَّا نعيشُ في مدينتنا (الرطبة) في أمان وسلام ومحبة، أنا مختار مدينة (الكيس)، كانت الرطبة زاهية وجميلة ومحط أنظار الجميع خصوصاً اخوتنا القادمين من الجنوب، كان هؤلاء الاخوة يأتون من الجنوب لرعي الأغنام في مدينتنا وكنا نستأنس بوجودهم الذي يبعثُ الدفء في القلوب ..

في تاريخ ٢١ - ٦ - ٢٠١٤ لا ندرى فعلاً ماذا حصل في هذا اليوم الأسود، استيقظنا من النوم في الصباح الباكر لنجد أنفسنا تحت سيطرة عصابات داعش المجرمة، بحثنا عن قواتنا الأمنية لكنها لم تكن متواجدة حين عَلِمَ داعش أنه الوحيد في الساحة وأنه قد سيطر على المدينة بدأ بممارساته الوحشية الخالية من الإنسانية، فبدأ القتل وسفك الدماء حيث قاموا بقتل أولاد عمي، وأيضاً كانوا يَتَشَفَّون بقتل أفراد القوات الأمنية وأجهزة الدولة، في البداية وحين ألقوا القبض على الموظفين الحكوميين والمتسبين وكل من له علاقة

بدوائر الدولة ومؤسساتها أخبروهم بأن ثمة عفواً قادمًا من (الخليفة أبي بكر البغدادي) شريطة أن تُعلنوا التوبة وتعودوا إلى طريق الرشاد. عليكم أن تجلسوا في بيوتكم ولا تخرجوا لأننا نراقبكم في كل حركاتكم وسكناتكم. كُنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مِنْ فَتَحَاتِ النَوَافِذِ وَهُمْ يَسْتَقْلُونَ مَرْكَبَاتِ نَوْعِ نَيْسَانَ وَيَضْرِبُونَ النَّاسَ وَيَهِينُونَهُمْ، مُسَلَّحُونَ بِمَلَابِسِ قَدْرَةٍ، بِلِحَى طَوِيلَةٍ يُغْطِيهَا الْغُبَارُ وَكَأَنَّهُمْ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ، يُحَاطَبُونَنَا بِلِسَانِ التَّدِينِ وَالدِّينِ مِنْهُمْ بَعِيدٌ ..

بين ليلة وضحاها تضاعفت أعداد الشهداء لثملاً الشوارع والساحات، أما الرمي من فوق البيوت الشاهقة كان كثيفاً، ماذا نفعل ونحن مَطْوَقُونَ بِجَهْلٍ مَقْدَسٍ وَمُدَجَّجٍ بِالْأَسْلِحَةِ الْفَتَاكَةِ، الشيء الذي ألمني وأبكاني ما حدث لابن خالتي (نمير) الشاب الذي يأبى الضيم ويرفض الذل والمهانة والعبودية، ما حدث له ترك أثره في قلوب أبناء الرطبة الشرفاء جميعاً ..

حدث الأمر حين دخل شخصٌ يَكُنُّ لِنَمِيرٍ عِدَاءً قَدِيمًا، دخل هذا الشخص صفوف داعش وارتدى زيهم (القندهاري) الوسخ ثم تعمد أن يُمَرَّ عَلَى (نمير) وهو في مكان عمله مُحَاوِلًا اسْتَفْزَاذَهُ، طَبْعًا نَسِيْتُ اسْمَ هَذَا الشَّخْصِ النُّكْرَةَ وَعَلَى الْعَمُومِ هِيَ لَيْسَتْ أَسْمَاءُ وَهُمْ

الحقيقية تلك التي تُطلق عليهم. على أية حال دخل هذا الشخص وهو يرتدي زيَّه القصير المثير للسخرية قائلاً:

- انظر إليّ وإلى هذا الزي الذي يُشرفكم جميعاً إنه زي المُقاتلين الأبطال لقد تشرفتُ بانتهائي إلى رجال الخلافة الاسلامية ولا بد لك من أن تُطيع وَتُحترم وَتُقَدِّس هؤلاء الرجال الشجعان.
ابتسم (نمير) ابتسامة سُخرية واستخفاف وأطرق رأسه أرضاً من غير أن يَنبس بنت كلمة مما أثار حفيظة هذا المعتوه.
- ها... يبدو أن الكلام لم يُعجبك؟ لقد حكمتَ على نفسك بالإهانة والمذلة

- ومن يَجْرؤُ على إهانتِي أيها الصعلوك.

- أنا من يَجْرؤُ على اهانتك أيها الجبان

إحتدَّ واشتدَّ الحوار وارتفعت الأصوات بينهم وصار هذا الشخص يشتمُّ نمير وَيَطعن في شرفه وَيهدِّده إن تكلَّم بأنه سيُعاقبه بأشد العقوبة ثم خرج غاضباً تاركاً نمير حزيناً يرعد وَيزبد ويردد كلمات: (الكلب الصعلوك لا بد أن أقتله.. قاتلني الله إن لم أقتله).

في اليوم الثاني حمل (نمير) مسدَّسه الشخصي وخرج يبحثُ عنه حتى وجده في السُّوق بين مجموعة من الذين يرتدون الزيَّ نفسه وهم

يحملون أسلحتهم ويضحكون بأصواتٍ عالية، حين رآه صاح به:
 - إسمع أيها النذل لستُ أنا الذي تُهينهُ وتطعنه في شرفه، ثم
 أَخْرَجَ مسدَّسهُ وباغته برصاصة في رأسه فخرَّ صريعاً على الأرض
 ورأسه يتفجر منه نافورة دماء قانية، حينذاك أمسك المسلَّحون بنمير
 بسرعة واقتادوه إلى مقرهم، حبسوه لمدة سبعة أيام بعد ذلك أعلنوا
 بمكبرات الصوت على الجميع الحضور في الساحة الرئيسة للمدينة،
 فتجمهر الناس ليروا (نمير) وقد قيَّدوه بانتظار أن يقوموا بإعدامه
 وحين حانت ساعة التنفيذ أطلقوا عليه رصاصاً كثيفاً مزَّق جسدهُ
 بالكامل مما أثار غضب واستياء الناس الذين انتفضوا وحملوا الشهيد
 وهم يُطلقون أناشيد الغضب والتمرد وتحوَّل التشيع إلى زفاف
 وصار نمير هو العريس الذي سيُزفُّ إلى قبره الذي سيكون روضة
 من رياض الجنة، لكن الدواعش لم يسكِّتوا فلحِقوا بهم وطوَّقوا
 المقبرة.

وبعد دفن الشهيد (نمير) أُلقي القبض على الجميع واقتادوهم
 إلى السجن وكان عددهم يقترب من ١٣٠ شخصاً، كَبَلُوا الجميع على
 أعمدة الكهرباء وقاموا بتعذيبهم بشتى ألوان العذاب والجلد فسَقَطَ
 مَنْ سَقَطَ وأغشي على الكثيرين منهم خصوصاً كبار السن والمراهقين

الذين لم يبلغوا الحلم بعد، لقد تحوّلت مدينتنا الجميلة إلى مدينة مُتطرّفة غاضبة مليئة بالوجوه العابسة واللّحى التي صارت علامة على الشر والموت الزؤام، وبينما كنا نعد العُدّة لمواجهتهم سمعنا أنّ ثمة قوات عسكرية حكومية تتقدّم لمحاربة هؤلاء الأنجاس فخططنا أن نُحاصرهم نحن من داخل المدينة والقوات الأمنية من خارجها وقد أدرك الدواعش ذلك وصاروا يُحاولون إيجاد ثغرة لينفذوا منها بجلدهم والعجيب أنّهم خليط غير متجانس من عرب وعراقيين وثمة الكثير من روسيا وكوريا والصين وغيرها من البلدان التي ألقّت علينا بحمولتها من الوساخة والقباحة، وكانت نيران الحق بانتظارهم لتقودهم إلى جهنم وبئس المصير .

نعم لقد تحقّقت نبوءة دماء الشهداء التي انتصرت على سيوفهم الصّدئة كما انتصرت من قبل دماء الحسين عليه السلام وأبنائه وأصحابه على السيوف الظالمة

المحتويات

١.....	القسم الأول
٣.....	عين الصقر
٣.....	١-
٨.....	٢-
١٢.....	المصلاوي
١٩.....	المسافر
٢٤.....	ابن الشهيد
٣٢.....	ان موعدهم الصبح
٣٦.....	حدود الخوف
٤١.....	النصر أو الشهادة
٤٦.....	فتاة سنجار
٥٢.....	الموت والحياة
٥٧.....	ليلة سوداء
٦٢.....	الوحش
٦٩.....	نهر الدم
٧٣.....	يوميات انسان حزين
٧٧.....	المكتبة
٨٣.....	الشبح

- ٨٩ القسم الثاني
- ٩١ ليلة الرؤوس المقطوعة
- ٩٦ الذبّاح
- ١٠١ دفتر النار والرماد
- ١٠٣ شعارات سود
- ١٠٨ حدث في الأسحاقى
- ١١٣ بادوش
- ١١٨ أبطال من أمري
- ١٢٣ القفص
- ١٢٨ سوق الحرّيم
- ١٣٤ قهرمان
- ١٣٩ مأساة عمشة
- ١٤٤ إمراة من هيت
- ١٤٩ حكاية الدماء التي انتصرت